جامعة عمار ثليجي بالأغواط

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية والحضارة

قسم التاريخ

انعكاسات الاحتفالات بالذكرى المئوية لاحتلال الجزائر على كل من تونس والمغرب

مذكرة التخرج ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر في تخصص تاريخ المغرب المعاصر

إعداد الطالبة:

- فتيحة بوشويرب

إشراف الأستاذ الدكتور:

- محمود علالي

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	مؤسسة الانتماء	الصفة
بن خليفة محمود	أستاذ	جامعة عمار ثليجي بالاغواط	رئيسا
محمود علالي	أستاذ التعليم العالي	جامعة عمار ثليجي بالاغواط	مشرفا ومقررا
محمد عطية	دكتور	جامعة عمار ثليجي بالاغواط	مناقشا

السنة الجامعية: 1445هـ/1446هـ - 2023م/2024م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

الحمد والشكر لله الحي القيوم أولا وأخيرا وامتثالا لقوله صلى الله عليه وسلم:

" من لا يشكر الناس لا يشكر الله"

أتوجه بجزيل الشكر وجميل العرفان للأستاذ الدكتور " علالي محمود " الذي تكرم بقبول الإشراف على هذه المذكرة وعلى جميع التوجيهات والملاحظات والنصائح.

كما لا يفوتني ان أتقدم بوافر التقدير والاحترام لأعضاء اللجنة المحترمين على عناء قراءة المذكرة وقبولها وتصويبها.

وكذلك أتقدم بخالص الشكر الى كل من درسني من أساتذة كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية والحضارة بجامعة عمار ثليجي والى كل موظفي المكتبة وجزاهم الله كل خير.

وفي الاخير أشكر كل من قدم لي يد العون والمساعدة من قريب او من بعيد ونسأل الله عز وجل أن يجعل ذلك في ميزان حسناتهم انه قريب مجيب

الإهداء

الحمد لله الذي وفقني في هذا العمل المتواضع الذي اهديه مع أسمى عبارات الحب والامتنان:

إلى التي اهدتني نور الحياة وتعهدت برعاية خطواتي ورسمت معي أحلام حياتي والدتي الحبيبة أطال الله في عمرها وأدامها لي نبعا صافيا امحو به كدر الأيام.

إلى من زرع في قلبي حب العلم ووضع بين جنباتي القوة والعزيمة والدي الغالي الذي طالما شجعني وساعدني لإتمام دراستي حفظه الله لنا جميعا.

إلى إخوتي الأعزاء بولرباح وأحلام ومحمد حسان والكتكوت الصغير يحي حماهو الله.

إلى أساتذتي الكرام.

إلى كل الأهل والأصدقاء وزملاء الدراسة.إلى كل من قدم لي يد المساعدة

بوشويرب فتيحة

قائمة المختصرات

قائمة المختصرات

باللغة العربية	
ط	طبعة
تع	تعريب
تح	تحقيق
تر	ترجمة
د ت	دون تاريخ
د م	دون مكان النشر
ص	صفحة
ص ص	من الصفحة الى الصفحة
د ط	دون طبعة
باللغة الفرنسية	
P	صفحة
Op-Cit	مرجع سابق
Ibid	نفسه

مقدمـــــة

مقدمـة

تعتبر سنة **1930م** سنة مفصلية في تاريخ النضال الوطني المغاربي ضد السياسة الاستعمارية التي طبقتها بكل من الجزائر وتونس والمغرب الأقصى، إذ حبست الدوائر الفرنسية أنها تمكنت من إخضاع التام للشعوب المغاربية في العديد من المستويات، فقامت بأعمال إستعراضية خلال هذه السنة بكل قطر من الأقطار الثلاثة.

فبمناسبة مرور مئة عام اقامت فرنسا احتفالات لإحياء ذكرى احتلالها للجزائر متزامنة مع **5 جويلية 1930م** معلنة ان هذه الاحتفالات هي جنازة للإسلام، رغم مرور مائة عام إلا ان السلطات الاستعمارية لم تراجع نفسها ولم تقم بخطوة واحد من اجل إحداث اصلاحات في الجزائر، وذلك بعد السياسة الاستعمارية الاستيطانية الاستدمارية التي انتهجتها في تسيير مستعمراتها، عكس كل هذا رأت فرنسا في ذلك فرصة من اجل استفزاز الجزائريين، وذلك من خلال إقامة احتفالات بذكرى مرور مائة عام على وجودها على أرضهم معلنة بذلك حربا نفسية على الشعب الجزائري، وفرصة لتظهر للعالم بمظهر القوى العظمى ومدى قوتها وسيطرتها على الجزائر. ويتضح حماس فرنسا لإحياء الذكرى المئوية من خلال الشروع في التحضير للاحتفالات قبل **1930م**، حيث هيأت الظروف المادية والبشرية من أجل تجسيد غايتها على أرض الواقع حيث قامت برصد الاموال اللازمة مع تسخير وسائل الاعلام التي اعتبرتها وسيلة أساسية في هذه الاحتفالات من خلال الكم الهائل من الصحف والوسائل التي سخرتها وذلك لتنشر للعالم كله هذه الاحتفالات متباهية بنفسها.

ولقد كانت لهذه الاحتفالات انعكاسات على كل من تونس والمغرب الأقصى، ففي تونس نظمت السلطات الإستعمارية المؤتمر الافخارستي بأبعاد دينية تضمر العديد من المرامي والكثير من الانطباعات التي أرادت السلطة الدينية والسلطة المدنية الفرنسية إظهارها للتونسيين والفرنسيين وغيرهم على حد سواء، ولذلك حرصت للإعداد لهذا المؤتمر وكأنه مظهرا للإنتصار، وسخرت من أجله الإمكانيات اللازمة والكفيلة بإنجاحه، دون النظر للظروف المتأزمة اقتصاديا واجتماعيا في تونس، ودون الأخذ في الاعتبار ردود الفعل الوطنية، ولا المواقف التونسية المختلفة اتجاه انعقاده. وأكثر من هذا حاولت الهيئة المنظمة للمؤتمر بمساندة السلطات الاستعمارية ترسيخ الحق في التصرف في المحمية دون قيد أو اعتراض من سلطات الباي أو المجالس والهيئات المختلفة التونسية، بل وعمدت على إدخال بعض الشخصيات المرموقة في اللجنة الشرفية ليخول لها البرهنة على قبول التونسيين الرسميين وممثليهم لاحتضان هذا المؤتمر على أرضهم وبإمكانياتهم المادية والمعنوية.

أما المغرب الأقصى فعندما وطأت أقدام الاستعمار الفرنسي أراضي المغرب الأقصى قامت بإخضاعه للحماية سنة **1912م**، كل هذا كان غطاء لمحاولاتها السيطرة على كل الشمال الإفريقي المتمثل في المغرب العربي، وسعيا منها لتحقيق ذلك انتهجت فرنسا طرق ملتوية من خلال ممارساتها التي كانت تتسم بعدم احترام بنود الحماية وسار منظروا الاستعمار ومعاونوهم إلى التفكير في كيفية إدماج المغرب الأقصى في الحظيرة الفرنسية، واعتباره قطعة من فرنسا. إن المشروع الفرنسي في المغرب لم يكن مشروعا سياسيا واقتصاديا فقط، بل كان مشروعا حضاريا بجميع اتجاهاته الثقافية والاجتماعية والدينية، هدفت من ورائه فرنسا العمل على سلخ المغرب من انتمائه العربي والاسلامي بصفة خاصة.

ولقد سعت السلطات الفرنسية لتحقيق ذلك من خلال إصدارها للنصوص القانونية تتضمن سياسة التفرقة العنصرية في المغرب مستهدفة بذلك وحدته السياسية والدينية، وقد تمثلت هذه السياسة في ما عرف بالسياسة البربرية والتي استهدفت ثقافة المجتمع وهويته العربية والاسلامية، وكان من أبرز مظاهر هذه السياسة إصدار الظهير البربري في **16 ماي 1930م**، ولقد سمي بالظهير البربري لأنه استهدف فئة البربر بالدرجة الأولى، والذي هدف من خلاله إلى تقسيم المجتمع المغربي وإحداث شرخ في نسيجه الاجتماعي.

- **دو افع واسباب اختيار الموضوع:**

هناك عدة اسباب موضوعية وذاتية جعلتني أتطرق لدراسة هذا الموضوع والتي تناولتها في مجموعة من النقاط وهي:

- تسليط الضوء على جزء مهم من تاريخنا والمتمثل في هذه الاحتفالات بالذكرى المئوية وما حملته من تأثيرات.
- معرفة الانعكاسات التي خلفتها الاحتفالات بالذكرى المئوية لاحتلال الجزائر على كل من تونس والمغرب الأقصى ومدى خطورتها.
- إبراز الوجه الآخر للاستعمار الفرنسي في توظيفه العامل الديني واستحضاره ماضيه المسيحي الصليبي القديم تعزيزا لتواجده في كل من تونس والمغرب الأقصى.
- لحاجة في نفسي ورغبة مني في البحث في هذه المواضيع.
- محاولة إضافة مجهود علمي لخدمة التاريخ.

إن دراسة هذا الجانب من جوانب التاريخ والمتمثل في الاحتفالات المئوية بأبعادها وتأثيراتها نتج عنه إشكالية أساسية تم تحديدها على الشكل التالي:

- **إشكالية الموضوع:**

فيما تجلت انعكاسات أو تداعيات الاحتفالات بالذكرى المئوية لاحتلال الجزائر على كل من تونس والمغرب ؟

وتقتضي الإجابة عن هذه الاشكالية الاجابة عن الاسئلة الفرعية الآتية:

- فيما تمثلت ذكرى الاحتفالات المئوية لاحتلال فرنسا للجزائر؟ وكيف تم التحضير لها؟ وفيما تمثلت أبعادها؟
- فيما تجلت انعكاساتها على تونس؟
- ماهي تداعياتها على المغرب ؟

- **حدود الدراسة:**

الحدود المكانية والزمانية لهذه الدراسة حيث جرت وقائعها في كل من الجزائر وتونس والمغرب سنة **1930م**، حيث شهدت هذه الفترة تعاقب العديد من الاحداث التاريخية على هذه المنطقة.

- **المنهج المتبع:**

ان طبيعة الموضوع هي التي تحدد المنهج والأدوات المستعملة في البحث، وعليه فقد اتبعت المنهج التاريخي الوصفي كون هذا الموضوع وطريقة دراسته حتمت علي انتهاجه،

كما أنني في موضوعي التزمت بوصف وسرد أحداث الاحتفالات بالذكرى المئوية من اول فكرة حتى تنفيذها حسب التسلسل الزمني، وصولا الى انعكاساتها على تونس والمغرب.

- **أهمية الموضوع:**

تتجلى أهمية هذا الموضوع في كون هذا الحدث حدث هام في تاريخ دول المغربي العربي ومؤثرة عليه رغم أنها جرت في الجزائر والمساهمة من خلال هذه الدراسة المتواضعة ازالت الاهمال والغموض على فترة من فترات تاريخ الجزائر العريق والمتمثلة في الاحتفالات التي شهدتها الجزائر بعد مرور مئة عام على احتلالها، بالإضافة إلى خطورة انعكاساتها على تونس والمغرب. وكذلك إبراز الوجه الآخر للاستعمار في توظيفه العامل الديني واستحضاره ماضيه المسيحي الصليبي القديم تعزيزا لتواجده في المغرب العربي.

- **خطة الموضوع:**

وبناءا على المادة العلمية التي تمكنت من جمعها وبعد دراستها قمت بإعداد خطة تتكون من: مقدمة، ثلاثة فصول، خاتمة، ملاحق وظفتها لخدمة الموضوع.

الفصل الأول:

تناولت فيه التحضيرات الأولية والنهائية للاحتفالات وذلك من أجل التطرق الى أدق التفاصيل والى أهم المحطات التي مرت بها، وتناولت أبعاد هذه الاحتفالات من الجانبين المحلي والدولي.

الفصل الثاني:

تطرقت فيه الى انعكاسات الاحتفالات بالذكرى المأوية لاحتلال فرنسا للجزائر على تونس والتي تمثلت في المؤتمر الافخرستي، وجاء فيه أوضاع تونس بعد الحرب

العالمية الاولى إضافة الى ظروف ودوافع الاحتلال لعقد هذا المحفل الديني وأهدافه وأبعاده.

الفصل الثالث:

تمحور هذا الفصل حول التعريف بالظهير البربري **16 ماي 1930م** من حيث المحتوى والأهداف وكذلك الى ردود الفعل في المغرب حكومة وشعبا إضافة الى رد فعل فرنسا. ثم جاءت الخاتمة تتويجا لكل الفصول السابقة وهي عبارة عن مجموعة من الاستنتاجات التي خرجت بها من خلال دراستنا للموضوع، ثم ذليت عملي بمجموعة من الملاحق خاصة بالموضوع.

- **المصادر والمراجع:**

وقصد الاسترسال في موضوع بحثي والإحاطة به اعتمدت على جملة من المصادر والمراجع التي بذلت قصارى جهدي في تنويعها لخدمة الموضوع، ومن أهم المصادر المعتمدة:

- مذكرات كفاح لأحمد توفيق المدني الذي يعتبر مصدر هام في توثيق أحداث سير الاحتفالات كون المدني كان معاصر لهذه الاحتفالات مما مكننا من الإطلاع بشكل أقرب على هذه الاحتفالات .
- تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية (**1919م- 1939م**) الجزء الأول لمحفوظ قداش حيث تناول التحضيرات للاحتفالات المئوية.
- جذور الحركة الوطنية التونسية لمؤلفه علي محجوبي، فهذا المصدر الصادر عن المجتمع التونسي للعلوم والآداب والفنون والمعرب من طرف عبد الحميد

الشابي، أعطاني صورة واضحة عن تاريخ تونس بصفة عامة كما استفدت منه أيضا فيما يتعلق بانعقاد المؤتمر الافخرستي ومظاهره وقد وضفناه في الفصل الثاني.

- هذه تونس لمؤلفه الحبيب ثامر الصادر سنة **1980م**، المترجم الى اللغة العربية من طرف حمادي الساحلي عن دار الغرب الاسلامي ببيروت، واعتمدنا على هذا المصدر فيما يتعلق بأوضاع تونس بعد الحرب العالمية الاولى في جميع المجالات.
- كتاب الحركات الاستقلالية في المغرب الأقصى لمؤلفه علال الفاسي، والذي يعد من المصادر المهمة في تاريخ المغرب وكتاب مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية لأبي بوبكر القادري والذين استفدنا منهم في الفصل الثالث.

أما في مايخص المراجع فاعتمدنا على مجموعة من الكتب والرسائل الجامعة أذكر منها:

الكتب:

- ابو القاسم سعد الله، كتاب الحركة الوطنية الجزء الثاني (**1900م- 1930م**) والجزء الثالث وكتاب تاريخ الجزائر الثقافي الجزء السادس.
- دراسات صاري احمد شخصيات وقضايا من تاريخ الجزائر المعاصر، استخلصنا منه مواقف حول الاحتفالات. تناول ايضا مجموعة من المقالات التي نشرت في المجلات والجزائر مثل جريدة الشهاب والنجاح.
- تاريخ تونس المعاصر (**1881م- 1956م**) لمؤلفه أحمد القصاب فمن خلال عنوانه ساعدني هذا المرجع في إلقاء نظرة على تاريخ تونس المعاصر من فرض

الحماية الى غاية حصول البلاد على الاستقلال مرورا بكافة الأحداث والوقائع التي كانت تونس تعاصرها.

- دراسات في الحركات الوطنية الاتجاهات الوحدوية في المغرب لمؤلفه محمد علي داهش.

الرسائل الجامعية المتمثلة في الدراسات السابقة:

- تأتي في مقدمتها رسالة ماجستير لإلياس نايت قاسم، الذكرى المئوية للاحتلال الفرنسي للجزائر وأثرها على الحركة الوطنية الجزائرية. حيث تطرق فيه الى مختلف محطات التي مرت بها هذه الاحتفالات.
- ايضا اطروحة دكتوراه لمحمود علالي، دراسة لكتابات المئوية لاحتلال الجزائر، في هذه الاطروحة استخلصت أهم محطات الاحتفالات وابعادها.
- كذلك يوسف مناصرية، الحزب الحر الدستوري التونسي (**1919م- 1934م**)، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، **1986م-1987م.**
- الظهير البربري وانعكاساته على النضال السياسي في المغرب **1930م- 1956م** مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي المعاصر لكل من خديجة خدير وشهرزاد حمدي.

- **الصعوبات:**

كسائر الدراسات الاكاديمية لابد من أن تواجهك جملة من العقبات التي تحول بينك وبين تحقيق غايتك، رغم هذا إلا أن هذه الصعوبات تجعلك أكثر إصرار على تجاوزها. من بين الصعوبات التي واجهتني أثناء إعدادي الرسالة والتي يمكن التطرق اليها في شكل نقاط:

- التضارب في المعلومات في بعض المصادر وتداخل الاحداث مما يصعب اجتناب التكرار.
- كثرة المادة العلمية وتشعبها مما يصعب التحكم فيها وتحديد المهم منها لإثراء الموضوع.
- ضيق الوقت نظرا لتشعب الموضوع.
- معوقات ذاتية.
- أقر بأنه لا يخلو أي عمل من النقائص فلا أجزم استفاء موضوعي حقه بل يبقى محل بحث وإسهام كما أرجو أن يكون عملي هذا إسهاما يعود بالفائدة على كل من هم بهذه الشؤون.

ومع ذلك فقد أعانني الله عز وجل على التغلب على هذه الصعوبات والإنتهاء من تحرير رسالتي العلمية، فأشكره شكرا جزيلا على كرمه وفضله وتوفيقه علينا.

الفصل الأول:

الاحتفالات بالذكرى المئوية

لاحتلال فرنسا للجزائر 1930م

الفصل الاول: الاحتفالات بالذكرى المئوية الفرنسية لاحتلال الجز ائر 1930م

أولا: التحضيرات الأولية للإحتفالات

1- ظهور فكرة إحياء الذكرى المأوية و إنشاء لجنة الستينغ

بدأ المستعمر يفكر في الاحتفالات بمئوية الاحتلال الفرنسي و التحضير لها بدقة وذلك منذ **14 ديسمبر 1923م**، ولم تكن فكرة تنظيم الإحتفالات بمرور مائة عام لاحتلال الجزائر وليد الصدفة وإنما بدأ التفكير بها خلال مدة زمنية ليست بالقريبة.

فقد شهدت الساحة الإعلامية والفكرية في الجزائر منذ **1922م** نشر مجموعة من المقالات حملت مدلولها فكرة التفوق الفرنسي والإشادة بالإنجازات الاستعمارية بالجزائر على حساب التخلف والهمجية الأهلية[1]. ويؤكد ذلك ما ورد في لإحدى المجلات الفرنسية :« إننا الفرنسيون في وطننا الجزائر أصبحنا أسياد البلاد بقوة ... ومنذ أن أخضعنا الآخرين استطعنا أن ننظم البلاد، و التنظيم نفسه يؤكد مرة أخرى فكرة امتياز المنتصر على المنهزم، وامتياز الإنسان المتحضر على الإنسان الناقص... اننا المالكون الشرعيون للبلاد.... » [2] ، ونجد ايضا جون ميليه **Jean Melia** الذي ذكر في أحد كتبه: « من حق فرنسا أن تحتل الجزائر لأن هذه الأخيرة لم تقتطع من وطن اخر مثل الألزاس واللورين في **1870م-1871م**. لم تكن الجزائر قد تكونت وطنيا » .[3]

---

[1]- ميسوم بلقاسم، "التطورات السياسية في الجزائر (1926م-1930م)"، مجلة البصائر،(المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م)، العدد 19 ،ص149.

[2]- فرحات عباس، حرب الجزائر وثورتها: ليل الاستعمار، تر:ابو بكر رحال، دار القصبة للنشر،الجزائر،2005م، ص141.

[3]- Jean Melia, Le centenaire de la conquète de l'Algèrie et des reformes indigenes(édit craphique,paris,1930),p65.

إن مصدر إحياء الذكرى المئوية من جماعة المعمرين في محاولة منهم لاستثمار الحدث سياسيا او جلب أعين السلطات الفرنسية في الوطن الأم للدور الكبير الذي لعبوه لإنجاح الحملة الفرنسية وقد قال بيجو: « إن الدولة اذا رغبت في إقامة حكم ثابت في إقليم خارجي يجب أن لا تكتفي بإخضاعه عسكريا وسياسيا فقط، بل لابد من نشر عنصرها فيه..... ولابد وأن تدعمه حتى يصبح قادر على استثمار الأرض واستغلالها بنفسه... » [1].

في **1923م** ظهرت التحضيرات الأولية على يد الوالي العام **ستيغ**[2] الذي أصدر في **23 ديسمبر1923م** قرار يقتضي بإنشاء لجنة[3] تتكفل بتنظيم وتسطير برنامج للإحتفالات [4].

وكان من بين اعضاء اللجنة:

- الوالي العام (رئيسا).
- الكاتب العام للولاية (نائب الرئيس).
- شيوخ ونواب المجالس ورؤساء المندوبيات.
- حكام الأقاليم الثلاث (وهران، الجزائر وقسنطينة).
- مدير جامعة الجزائر.
- رؤساء بلديات (وهران، الجزائر وقسنطينة).

[1]- رابح تركي عمامرة، الشيخ عبد الحميد بن باديس فلسفته وجهوده في التربية والتعليم (1940م- 1990م)، ط1 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، 1990م ، ص 25.

[2]- تيودور ستيغ: حاكم عام للجزائر (جويلية 1921 م– ماي 1925م)، في عهده عرفت الجزائر مجاعة كبيرة سنة 1921، وفي عهده ايضا جدد قانون الاهالي.

[3]- أنظر الملحق رقم (1) خاص بالدعوة لتنظيم الاحتفالات.

[4] - Gustave Marcier, le centenaire de l'Algèrie,T1,(édit,pG,subirons Alger), p24.

- رؤساء غرفة التجارة المستعمرة.
- رؤساء غرف الفلاحة، مدير الأشغال العمومية.
- مدير الشؤون الداخلية، مدير المناطق الصحراوية.

وقد اتسعت هذه اللجنة لتشمل عدة اعضاء اخرين مثل عمداء الجامعات ومدراء المدارس العليا ومدراء المتاحف ومحافظ المكتبة الوطنية، إضافة إلى شخصيات أخرى كقائد قوات الجيش بالجزائر وقادة الجيوش بوهران وقسنطينة، وقائد البحرية بالجزائر ورئيس المحكمة والنائب العام الجزائر ورئيس مؤسسة جغرافيا الجزائر.... وعجزت هذه اللجنة عن تحضير مشروع الإحتفالات بسبب عدم تمكنها من لم شمل جميع هؤلاء الأعضاء في اجتماع واحد.[1]

وخلف كل هذا كان **موريس فيوليت**[2] الذي كان يعتزم من ناحية سياسية اكثر "الاحتفال بتحرير الدول البربرية من السيطرة التركية". والذي اعتبر بدوره ان الاحتفال المئوي مناسبة لتحسين أوضاع الاهالي وحذر من التباطؤ في تطبيقها بقوله "إن من الواجب المحتم أن تقوم فرنسا ببعض الأعمال المستعجلة لأن هناك كثيرا من الأفكار الجزائرية بدأت تتبلور ومن الخطر التمادي في التغافل عن هذه المطالب الشرعية والمعقولة التي قدمها الأهالي ".[3]

[1] - الياس نايت قاسم ، الذكرى المئوية للاحتلال الفرنسي وأثرها على الحركة الوطنية الجزائرية ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التريخ الحديث والمعاصر ، قسم التاريخ ، عمار بن خروف ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ، الجزائر ، 2002م – 2003م ، ص 38 – 39.

[2] - مورييس فيوليت، كان حاكما عاما للجزائر 1925م-1927م، كانت سياسته شبيهة بسياسة المنتخبين، عمل على تحسين الظروف المعيشية للأهالي ينتي إلى الحزب الإشتراكي الفرنسي، اصبح عضوا في مجلس الشيوخ الفرنسي.

[3] - سهام بعيجي ، الاحتفالات المئوية الفرنسية في الجزائر 1930م ، رسالة ماستر في التاريخ المعاصر ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ، جامعة محمد خيضر ، بسكرة ، 2013م - 2014م ، ص 34.

2- اللجنات المكلفة بالتحضيرات

أ- لجنة فيوليت للمطبوعات

عند تولي موريس فيوليت الولاية العامة بالجزائر في **12 مارس 1925م** كان من بين قراراته تلك المتعلقة بالاحتفالات المئوية هو إصدار قرار مؤرخ في **05 جويلية 1925م** ويقتضي بإنشاء لجنة اكاديمية مهمتها دراسة المؤلفات والكتابات المزمع طبعها بمناسبة الذكرى، وقد ضمت هذه اللجنة رؤساء الجامعات والمعاهد. إضافة إلى أساتذة ودكاترة من مختلف التخصصات، حيث سخرت لها إمكانيات مادية هامة وربطت لها علاقات مع مؤسسات محتلفة قصد الاستفادة واستقاء المعلومات، وكان من بين أعضائها :

. عميد أكاديمية الجزائر (رئيسا).

. مدير شؤون الفلاحة والتجارة والتعمير.

. مدير الخدمات المالية. مدير الشؤون الأهلية ..مدير الأشغال العمومية.

. عميد كلية الحقوق بالجزائر (موراند).عميد كلية الأدب بالجزائر (مارتينو).

. مدير معهد باستور (أدموند سرجون). إضافة إلى ممثلي قطاع الجيش والمؤسسات الثقافية والمكتبية المختلفة.

ومنذ إجتماعها الأول وضعت اللجنة قائمة التأليف المزعم طبعها، وكان الهدف منها هو تقديم صورة وحوصلة تقيمية شاملة لما وصلت إليه المعرفة الاستعمارية، إن مباشرة عملها الفوري خلق نوعا من الارتياح لدى الأوساط الكولونية الخاصة، إلا أن الأمر لم يكن كافيا با وطالبوا بمجهودات أكبر وفتح مجال العمل لتشريع عملية التحضير للذكرى[1].

[1]- الياس نايت قاسم، الرجع السابق،ص 40.

ب- لجنة المندوبات المالية

ظهر جليا الاهتمام البالغ الذي اولاه أعضاء المندوبيات المالية بالقضايا المتعلقة بالعيد المئوي من تنظيم وتحضير، وذلك خلال إفتتاح الجلسة العادية للمجالس المحلية يوم **08 أفريل 1927م** وحتى وإن أكد الوالي فيوليت في خطابه الافتتاحي تحمل مسؤولية التحضير للاحتفالات بكاملها إلا ان من المندوبيات أغلبيتهم من المعمرين لم يقتنعوا بذلك. وقد عبر المندوب المالي فيستا فينو في كلمة أمام الحضور عن التململ الذي تشهده الساحة السياسية في الجزائر والقلق الذي ينتاب الرأي العام في الجزائر جراء التماطل وعدم وضوح الرؤية لواقع التحضيرات للاحتفالات.

وقد ألح خلالها على ضرورة تكاتف كل الفعاليات السياسية والشركاء الاجتماعيين ورجال المال والأعمال للتجند وإنجاح هذه المناسبة، ومما جاء في تدخله قوله:"إن المندوبيات المالية تتبنى مشروع التحضير لهذه الاحتفالات، ولهذا تقترح إجراء انتخابات فورية لإنشاء لجنة مشتركة بين أعضاء المندوبيات المالية والمجالس المحلية بهدف التحضير للاحتفالات، وهذه اللجنة تقدم ملخص أعمالها خلال الدورة الاستثنائية[1]. ولم يكن في وسع الوالي العام إلا مباركة الفكرة وإجراء الانتخابات على شرط أن تكون تشكيلتها على النحو التالي : **ستة معمرين، ستة غير معمرين، ثلاثة عرب، عضوين من القبائل**. ولقد تم انتخاب اعضاء اللجنة في نفس الجلسة مما يوحي لنا ان الأمر كان مهيأ من قبل وأن المناقشة لم تكن إلا صورية، وشكلية، حيث ضمت اللجنة:

- ممثلي المعمرين (لوسياني، فروجو، باريس جوبونتار، سردا، اونجبلرا، هفارد).

[1]- الياس نايت قاسم، المرجع السابق ، ص 41.

- ممثلي غير المعمرين (بونيفاس، قال، مرسيي، لسيون، قوستافينو، موسلي).
- ممثلي العرب (سسبان، بن شبان، مولاي مصطفى).
- ممثلي القبائل (سي الصالح، اسماعيل).

وفي أول اجتماع عقد في **12 ماي 1927م** انتخب مكتبها : الرئيس (**قوستاف مرسيي**)، نائب الرئيس (**قوستافينو، سيسبان**)، مقرر اللجنة (**فروجو**)[1].

المندوبيات المالية من جهتها كانت منشغلة بتحضير مختلف المشاريع التي اعتمدت كأساس لقانون **25 مارس 1928م** والذي اقام مجلس أعلى للمئوية ونصب محافظ عاما للمئوية، صادق البرلمان الفرنسي بطلب تقدم به **ألبارا سارو Albert Sarraut** بتخصيص **40** مليون فرنك لميزانية أعياد الذكرى المأوية،

وقد خصص المجلس الأعلى للمئوية **58** مليون فرنك للاحتفال[2]. وخصصت **630000** منها للدعاية وقد كانت الدعاية الخاصة بالذكرى المئوية في قمة التنظيم ووصلت حدتها درجة الدعاية الحربية. وكتب **"بول كروزي"** (إن محاولة الدعاية الوطنية اليوم يمكن في وقت السلم تشبيهها بكل الدعايات التي سبقتها في الأوقات الأكثر خطورة)[3].

كما أنشئت الإذاعة في الجزائر لتلك المناسبة وتمكنت من ضم صوتها وتقديم دعم للصحافة الفرنسية قدر بـ **2** مليون فرنك من اجل القيام بحملة لصالح المعمرين، كما دعي **30** صحفيا باريسيا و**33** صحفيا لزيارة الجزائر مجانا، كما تم إخراج "فيلم المئوية" من طرف المخرج الفرنسي **جان رونوار Jean Renior** لصالح

[1]- الياس نايت قاسم، المرجع السابق، ص 42.

[2]- سهام بعيجي، المرجع السابق، ص 35- 36.

[3]- محفوظ قداش، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، ج1، شركة دار الأمة،الجزائر،2011م، ص 312.

الحكومة العامة تحت عنوان البلاد "**le bled** " إصدار الكتاب الذهبي لمئوية الجزائر الفرنسية "**liver d'or du centenaire de l'algerie française**" [1].

وتولت وكالة الانباء الفرنسية هافاس **Havas** **إذاعة 532** بيانا إشهاريا لهذه الإحتفالات ونشرت الصحافة الفرنسية أكثر من **14000** إعلانا إشهاريا، كما تم طبع **12** دفترا عن الذكرى المئوية **Cachier de centenaire**. وتم منح رخص السفر إلى الجزائر لتلاميذ ومعلمين من أصحاب منح المئوية، وكانت المئوية فرصة للجزائر لاحتضان **59** مؤتمرا وطنيا وجلب **80.000** زائرا من بينهم **8** وزراء و**306** برلماني جاؤوا في **9** مجموعات سميت رسميا بالقوافل البرلمانية وهو ما كلف نفقات الاحتفال الإجمالية **93** مليون فرنك في وقت كانت الجزائر تشهد انهيارا اقتصاديا واضطرابا اجتماعيا وذلك بسبب الازمة الاقتصادية العالمية سنة **1929م**. حيث ان هذه الاحتفالات كلفت الخزينة حوالي **130** مليون فرنك[2].

3- الأجهزة المكلفة بالتنظيم

أدى تعيين بورد على رأس الولاية إلى تفعيل عملية تحضير للاحتفالات، حيث أصدر قرارين في **13 ديسمبر 1927م** يستكمل فيه هيكلة الاجهزة المكلفة بالتنظيم انطلاقا من مسودة فيوليت. حيث تم عرض مشروع القانون للمصادقة عليه في تاريخ

[1]- سهام بعيجي، المرجع السابق، ص 36.

[2]- عبد الرشيد زروقة، جهاد بن باديس ضد الاستعمار الفرنسي في الجزائر (1913م- 1940م)، ط1، دار الشهاب، بيروت، لبنان، 1999م، ص 125.

25 مارس 1928م حيث أن هذا القانون اشار الى مجموعة من الخطوط العريضة لعمل هذه الأجهزة، إضافة إلى تحديد صلاحيات كل جهاز.

3.أ- المجلس الأعلى للعيد المئوي[1]

وهو اعلى سلطة مكلفة بالتنظيم ومراقبة البرامج الاحتفالية تتمثل صلاحياته في المصادقة على المشاريع والبرامج المقترحة للاحتفالات وكل ما يتعلق بالميزانية وقضايا التمويل، والنظر إلى المقترحات المقدمة من المحافظة العليا. ولقد أصدر **بورد** تعليمة قصد تنظيم المجلس الأعلى داخليا وتحديد شروط العضوية فيه، وذلك لتفادي أخطاء اللجان التحضيرية الأولى، حيث حدد مقاييس عامة أهمها:

- مشاركة الفعاليات والتنظيمات في الساحة الجزائرية دون إقصاء مباشر للاهالي الجزائريين ممن أبدوا ولائهم للإدارة الفرنسية، على أن يتم اختيار هؤلاء الممثلين من الاهالي ممن لهم الخبرة في مجال التسيير الاقتصادي والإداري.
- تحديد عدد أعضاء المجلس بشكل يسهل اجتماع أعضائه وبالتالي تسريع وتيرة أشغاله[2].

3.ب- المحافظة العليا للعيد المئوي

أصدر الوالي العام قرار يجدد من خلاله تنظيم المحافظة العليا للعيد المئوي بتاريخ **19 ماي 1928م**، وتم تحديد مهامه كجهاز تنفيذي يتابع التطبيق الميداني للتوصيات والمشاريع المصادق عليها من طرف المجلس الأعلى. ورتبت المسؤوليات في

[1] انظر الملحق رقم (2) خاص بأعضاء المجلس الأعلى للعيد المئوي.

[2]- الياس نايت قاسم، المرجع السابق، ص 46.

المحافظة على الشكل التالي: رئيس السكرتارية العامة، رئيس مكاتب المحافظة و أمين عام المحافظة.

3.ج- لجان الاحتفالات الفرعية

تم اقتراح إنشاء لجان فرعية مختصة في كل مجال من المجالات، على أن ترفع كل لجنة تقارير عملها إلى المحافظة التي بدورها تقدمها للمجلس الأعلى. بلغ عدد اللجان المؤلفة لها **18** لجنة نذكر أهمها:

- **لجنة الوسائل والطرق**

مهمتها التكفل بالجانب المالي لاحتفالات العيد المئوي والتفكير واقتراح مصادر تمويل جديدة لتدعيم خزينة المحافظة العليا وإعطاء حركة لهذا الجانب، أسندت رئاسة اللجنة إلى **مرازد** وهو مندوب مالي ومقرر عام لميزانية الجزائر، اختير على أساس خبرته في التسيير المالي وقوة علاقاته مع ذوي النفوذ داخل الجزائر وخارجها.

ولقد ضمت اللجنة شخصيات بارزة: مدير البنك الشعبي الجزائري (**كلايراك**)، المندوب المالي(**لافونت**) ورئيس اللجنة المالية للمجلس العام للجزائر (**ألطيراك**)[1].

- **لجنة الحفلات الرسمية**

أنشئت بقرار مؤرخ في **2 جانفي 1928م** وهي مكلفة بتحضير اللقاءات والاحتفالات الرسمية على شرف المدعوين من خارج وداخل الجزائر. ثم عين **أرموند** المستشار الحكومي رئيسا لها، ولقد ضمت مبدئيا **12** عضوا ليرتفع عدد أعضائها إلى **30** عضوا،

[1]- الياس نايت قاسم، المرجع السابق، ص 47.

نذكر من أعضائها: **سزيناف** رئيس مجلس عمالة الجزائر، **طوشي** رئيس اتحاد الجمعيات الموسيقية بالجزائر **وبارتياس** رئيس جمعية طلبة الجزائر.

وتم تدعيم اللجنة بإنشاء عدة فروع يشرف كل فرع منها بجانب معين من التحضيرات، وهذا بطبيعة الحال قصد ضبط عمليات التحضير والاهتمام بكل التفاصيل وهي:

1- اللجنة الفرعية للشعر الملحون لانتصار الجزائر.

2- اللجنة الفرعية للتظاهرات المسرحية والموسيقية.

3- اللجنة الفرعية للألعاب النارية.

4- اللجنة الفرعية للاحتفالات العسكرية[1].

- **لجنة الإشهار والدعاية**

أنشئت قصد تسخير كل الإمكانيات والوسائل الدعائية الممكنة، بغية تعميم وإيصال المعلومة بشكل صحيح، واستقطاب أكبر عدد ممكن من الرأي العام. وأوكلت رئاستها إلى راي وهو محامي في محكمة الجزائر، وضمت كلا من :

. **مارتينو** (عميد كلية الآداب).

. **بريكارد** (مدير وكالة هافاس للاتصال).

. **موستون** (مدير وكالة إفريقيا للاتصال).

[1]- الياس نايت قاسم، المرجع السابق ، ص 47.

- **لجنة النقل والاستقبال والإيواء**

أسندت رئاسة هذه اللجنة إلى لبيلارد رئيس غرفة التجارة بالجزائر، وتلخصت مهامها في تهيئة ظروف ملائمة لإقامنة زوار وضيوف الجزائر، خاصة فيما يتعلق في تهيئة الفنادق وإعادة تأثيثها إضافة إلى تعبيد الطرقات.... وكل هذا من أجل انطباع حسن عن جهود فرنسا في الجزائر، ضمت هذه اللجنة كل من:

.**كرول** (مسير المؤسسة العامة للنقل البحري).

.**روزو** (مدير السكك الحديدية بالجزائر).

. **طالندي** (صاحب نزل الواحة بالجزائر).[1]

ثانيا: التحضيرات النهائية

1- برنامج الاحتفالات المئوية

كان برنامج الاحتفالات[2] غني جدا بمجموعة من المحطات، فلقد بدأ التمهيد لها من شهر **سبتمبر 1928م**. حيث قامت المحافظة العليا بإعداد برنامج موسع ومتنوع إضافة إلى نشرها مقالا في أغلب الوسائل الإعلامية والذي اشتمل على تنظيم استعراضات ومعارض ومحاضرات وجولات سياحية، إضافة إلى إصدار مطبوعات وإنجاز أفلام وافتتاح منشآت جديدة، وبهذا يمكن القول أن هذه المناسبة لم تكن ذكرى عابرة بالنسبة للفرنسيين بل كانت دلالة خاصة حيث أن الحكومة أرادت من خلال تنظيمها لهذه الاحتفالات أن توضح للوافدين من فرنسا أو حتى الأوروبيين على

[1]- الياس نايت قاسم، المرجع السابق ، ص ص 47- 50.

[2]- انظر الملحق رقم (3) خاص ببرنامج الاحتفالات.

حد سواء مدى نجاعة الأساليب الاستعمارية الفرنسية في ترويض الجزائريين، ونجاح المستوطنين في تحويل إيالة الجزائر كما يزعمون إلى مستعمرة هادئة، ولقد كان البرنامج ثري وذلك بتنظيم ندوة من تنشيط قوستاف مرسي المحافظ الأعلى للعيد المئوي بقصر المعارض بمرسيليا[1]. ولكون البرنامج كان يحمل مجموعة من المحطات التي دامت **6** أشهر، ولقد حاولت التركيز على بعض المحطات التي كان لها تأثير على الجزائر والجزائريين خاصة والتي سوف أتطرق لها في عنصر مظاهر الاحتفالات المئوية.

2- ميزانية برنامج الاحتفالات

تطلب تنفيذ وتجسيد تظاهرات وفعاليات الاحتفال بالذكرى المئوية إعداد دراسة مفصلة لحجم الميزانية التقديرية المكلفة لها، حيث بلغت **130** مليون فرنك فرنسي[2]، وقد تعددت مصادر التمويل إلى خارج الجزائر، وقد تم تقسيم الحصص في ميزانية الاحتفالات على النحو التالي:

. **40** مليون فرنك كأعباء ومساهمة من الجمهورية الفرنسية بباريس.

. **40** مليون فرنك كأعباء ومساهمة من الولاية العامة بالجزائر.

. **6** مليون فرنك فرنسي كأعباء ومساهمة مقاطعات الجزائر، قسنطينة وواهران.

. **120** مليون فرنك فرنسي كأعباء ومساهمة من تونس والمغرب الأقصى.

. **32** مليون فرنك فرنسي كموارد مالية لمختلف النشاطات التجارية.

[1]- محمود علالي، دراسات لكتابات الذكرى المئوية لاحتلال الجزائر، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه العلوم في التاريخ المعاصر، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر،2008م- 2009م، ص 52- 53.

[2]- ابو القاسم سعدالله، الحركة الوطنية الجزائرية (1900م –1930م)، ج2 ، ط2، دار الغرب الاسلامي ، بيروت، لبنان، 1992م، ص324.

وفي عام **1929م** بلغ مجموع مدخول الخزينة حوالي **40** مليون فرنك كمساهمة جزئية من فرنسا والولاية العامة، أما من جانب المجالس المحلية بالجزائر فقد حولت مبلغ قدر بـ **13.743.000** فرنك فرنسي المتبقية من مساهمتها[1]. وفيما يتعلق بـ **6** الملايين المتبقية فقد خصصت لتمويل استقبال رئيس الجمهورية الفرنسية وهنا يظهر الاختلاف في توزيع الحصص ، والتي كانت على النحو الآتي:

- الميزانية المخصصة للأهالي الجزائريين والتي ادرجت في شكل خدمات ومساعدات اجتماعية والتي لم تتعدى **5** ملايين فرنك فرنسي، وهي لاتمثل إلا **6** بالمئة من مجموع الميزانية العامة للاحتفالات المئوية.
- تخصيص مبالغ مالية معتبرة لانجاز منشآت جديدة لدور الفلاحة ومحطة البث الإذاعي والنصب التذكارية، أما الدعاية الإشهارية فقد كان لها الصيب الاكبر من الميزانية العامة والتي وزعت على الشكل الموالي:
- الإدارة العامة **4.350.000** فرنك، مآدب وحفلات **5.575.000** فرنك.
- مصاريف النقل والإيواء **17.000.000** فرنك، المنشآت الجديدة **16.000.000** فرنك.
- الموسيقى والنشاطات الرياضية **4.000.000** فرنك، المعارض والمسابقات **8.000.000** فرنك والمنشآت الأهلية **3.800.000** فرنك[2].
- جانب الآثار أخذ أيضا جزءا من الميزانية العامة للاحتفالات، فقد إهتمت فرنسا بهذا الجانب وتم تخصيص مبالغ مالية له حيث بلغت في **1930م** حوالي **421.000**

[1]- محمود علالي، المرجع السابق، ص 55- 56.

[2]- Jean Melia, op.cit, p 06.

وجهت للبحوث الأثرية و **26.159.890** وجهت للبحث عن الآثار اللاتينية، على غرار الحفر والتنقيب على قبور الملوك مثل ملك يوبا وإبنته كليوباترا.

ويتضح جليا إهتمام فرنسا بجانب الآثار وخصوصا في هذه الفترة التي تزامنت مع الذكرى المئوية هو محاولة فرنسا للبحث عن دليل تاريخي أو مادي، الذي تزعمت من خلاله فرنسا ترابط وتواصل التاريخ الجزائري بفرنسا وذلك من أجل أن تعطي لنفسها الأحقية بوجودها في الجزائر[1].

3- إنطلاق الإحتفالات المئوية

اعتبر موريس فيوليت مائة عام على تحرير البلاد البربرية أي الجزائر على حد قوله حدث يستحق الاحتفال، وبالمقابل يداس الشعب بأكمله[2]، اقيمت احتفالات كبرى في انحاء القطر الجزائري، كما ساهم بعض الخونة الذين باعوا بلدهم وساهموا في التبشير بثقافة العدو[3]، وخلال هذه الاحتفالات أظهر الفرنسيون حقدا دينيا فقالوا : «إن احتفالنا اليوم ليس احتفالا بمرور مائة سنة لاحتلالنا الجزائر، لكنه احتفال بتشييع جنازة الإسلام »[4].

ومن المعلوم أن الاحتفال الرئيسي الذي والعام الذي وقع سنة **1930م** هو احتفال بذكرى احتلال القطر الجزائري بالجملة إلا أن المستوطنين في مختلف المدن الجزائرية أرادو هم أيضا أن يحتفلوا كل في مدينته، فبعد الاحتفالات بالجملة جاء دور

[1]- محمود علالي، المرجع السابق، ص 57.

[2]- احمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، ط2، البليدة، الجزائر،1963م، ص 60.

[3]- ادريس خضر، البحث في تاريخ الحديث (1830م- 1962م)،د ط، دار الغرب،د ت، ص 325.

[4]- محمد الطيب العلوي، مظاهر المقاومة الجزائرية (1830م- 1954م)،ط3،منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر،د س،ص 131.

الاحتفال بالتفصيل فاحتفلوا في مدينة الجزائر، قسنطينة ..... وذلك حسب تواريخ احتلال هذه المدن الذي وقع في تواريخ مختلفة حسب دفاع وصمود أهلها.

ومن بين المدن التي استضافت الاحتفالات نذكر أذكر على سبيل المثال:

- **الجزائر العاصمة**

انطلقت الاحتفالات بالراليات الصحراوية من الجزائر الى عاو ذهابا وإيابا من **فيفري** الى **أفريل 1930م** وإعادة فرنسا بالزي القديم، إضافة الى تنظيم حفل بالخروب منح فيه الاوسمة للمسؤولين الجزائريين وقدمت لهم هديا عبارة عن حصان عربي أصيل للدلالة على خضوعهم واستسلامهم لفرنسا[1]، اضافة الى استعراض بحري بمدينة الجزائر شاركت فيه **66** قطعة بحرية، ويوم **14 جوان 1930م** اقيمت احتفالات بسيدي فرج بمناسبة ذكرى نزول القوات الفرنسية فيه برغم من تعرض النواب المسلمين لتجديد هذه الذكرى السيئة الجارحة، ولقد أعرب من خلالها المستعمرين عن مدى حقدهم واحتقارهم الفظيع للجزائريين فمثلت هذه العملية بكل مآسيها ومظاهرها الجارحة، وفي نفس اليوم اقيمت مأدبة في مقام سيدي بروش الذي يبعد عن العاصمة بـ **28** كلم، وهو المحل الذل أنزل فيه الجنرال **ديبرمون** جيوشه لاحتلال الجزائر، وأقيم به تمثال منحوت فيه رموز الجمهورية تحتضن الجائر والتي صورت برمز امرأة أهلية في صورة حسنة[2].

[1]- محفوظ قداش، المصدر السابق، ص 312.

[2]- عبد الحفيظ الهاشمي، الاحتفال المئوي الفرنسي، جريدة النجاح، العدد 962، 22 محرم/جوان 1930م، ص 1.

كما رافق الاحتفال تحديات سياسية واستفزازات دينية، من بينها التصريح المهين الذي صرح به الحاكم في المرسى القديم "في هذا المكان حيث كانت اللصوصية تضرب اطنانها وحيث كان الظلم والطغيان وحيث كانت اوروبا تخضع لفظاعة وهول القرصنة، نستقبلكم ايها السادة وقد ساد الامان... انمحت القرصنة الى الأبد تحت لواء فرنسا العظيم المنتصر[1]. ولكي تعطي فرنسا صورة عن انجازاتها في الجزائر تولت أكاديمية الجزائر العاصمة طبع سلسلة من الاعمال تحت عنوان مجموعة الاحتفال المئوي[2]. وبينما كان الفرنسيون يحتفلون كان الاهالي يهمسون بالكلمات التالية "إنهم الفرنسيون يحتفلون بالقرن الأول ولكنهم لن يحتفلوا بالقرن الثاني"[3].

وإضافة لذلك قامت فرنسا بإقامة حفل ديني بالجامع الكبير الجزائري بحضور الحاكم العام ورجال الإدارة الفرنسية، وفي كلمة ألقاها إمام المسجد المفتي والذي قال: «ان المسلمون يوالون فرنسا قلبا او ايمانا لا قالبا، وإنهم يطيعونها طاعة مخلصة لا من عند انفسهم فقط بل خضوعا لأمر دينهم لقوله تعالى: أَطيعُوا الله واطيعوا الرسول واولي الأمر منكم » [4] سورة النساء، الاية **59**.

[1]- بسام العسلي، عبدالحميد بن باديس وبناء قاعدة الثورة الجزائرية، طبعة خاصة،دار النفائس، بيروت،لبنان، 2010م، ص 88.

[2]- احمد توفيق المدني، المصدر السابق، ص 251.

[3]- ابو القاسم سعدالله، الحركة الوطنية الجزائرية، المرجع السابق، ص 307.

[4]- احمد توفيق المدني، حياة كفاح مذكرات (1925م- 1954م)،ج3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،2009م، ص 250.

وقد بلغت الاحتفالات ذروتها ليلة الخامس من **جويلية 1930م** حيث احتفلوا احتفالا مجنونا ويقول أحمد توفيق المدني بخصوص هذا " لقد احتفلوا احتفالا صارخا، وأكلوا وشربوا وسكروا وعربدوا واختلط حابلهم بنابلهم، ثم احيوا الليلة حتى الصباح وسط أنوار كأنها قلب من القمر، كانت عندهم ليلة العمر ولم يشارك أحد منا في هذه الاحتفالات، ليلة النحس مستمرة، ولم يكتفوا بهذا بل زادوا على كل ذلك إقامة مؤتمر كاثوليكي، ارتفعت فيه الأصوات ضد الاسلام والعروبة، بقولهم انتصرنا على الاسلام والعروبة ودليلنا على ذلك وجودنا في الجزائر مئة سنة"[1]. ولقد تم تسجيل مئات المشاركين من رجال الدين والقساوسة ليعلنوا عودة المسيحية، ودقت في الكنائس الاجراس في الليل والنهار ابتهاجا بهذا المكسب الثمين الذي تحصلت عليه المسيحية في هذا الوطن الذي يعتبر بوابة افريقيا التي سيجتاحها المد الصليبي بكل يسر وسهولة.

- **قسنطينة**

تعود مبادرة إقامة الاحتفالات بالذكرى المئوية لاحتلال قسنطينة[2] الى رئيس بلديتها الدكتور **لياقر** فهو دعا المجلس البلدي للإنضمام الى مشروعه وقد صادق عليه المجلس بالإجماع وعلى المقترحات التي قدمها، وكان الهدف من إحياء هذه الذكرى هو إشعار القسنطينيين خاصة والجزائريين عامة بمضي قرن من الزمان بالهزيمة والمذلة، وذلك من خلال العروض والأزياء العسكرية المشاركة في الاحتفالات والتي كانت نفس

[1]- احمد توفيق المدني، حياة كفاح...، المصدر السابق، ص 252- 253.

[2]- انظر الملحق رقم (4) نداء الى اهل قسنطينة لاستقبال الرئيس الفرنسي.

الأزياء العسكرية التي دخلت بها السلطات الاستعمارية عند دخولها قسنطينة في **14 أكتوبر 1827م**[1].

كما كانت الاستعدادت قائمة لاستقبال رئيس الجمهورية الفرنسية قاسطون فزينت المدينة بأحسن الاصوات والاشكال التي تتناسب مع الذكرى، وبمناسبة قدوم الرئيس لقسنطينة[2] اشتغل النواب المسلمون بالعمالة وقاموا بتسليم لائحة تتضمن بمطالب إسم أئمة سلمت لأحمد مصطفى ابن باديس لتقديمها الى رئيس الجمهورية تتلخص هذه المطالب فيما يلي:

1- النيابة الأهلية في البرلمان.

2- إلغاء المحاكم الاستثنائية.

3- إنشاء مدارس كثيرة لأبناء الاهالي.

4- المساواة في الخدمة العسكرية.

5- إحداث عدد معتبر للتدريس العربي.[3]

وانتقل الرئيس الى قسنطينة يوم **6 ماي 1930م** أين وجد أمامه تمثالا رمزيا للجنرال **لاموسيير**[4] الذي استسلم له الأمير عبدالقادر والذي بناه المحتلون سنة **1927م** تحضيرا للاحتفالات المئوية.

[1]- احمد الصاري، شخصيات وقضايا من تاريخ الجزائر المعاصر، تق: ابو القاسم سعدالله، المطبعة العربية، غرداية،الجزائر،2004م، ص 124- 125.

[2]- عبدالحفيظ الهاشمي، مطالب الأمة، في جريدة النجاح،العدد 924، 30 ذو القعدة 1438هـ ، ص 3.

[3]- بن حسين كريمة، الحياة السياسية في قسنطينة (1930م- 1939م)، رسالة الحصول على دبلوم في الدراسات المعمقة في التاريخ الحديث،1984م ،ص 29.

[4]- انظر الملحق رقم (5) تمثال الجنرال لاموسيير.

وتخليدا لهذه الذكرى صدر كتاب بعنوان "الذكر المئوية لدخول قسنطينة في الأمة الفرنسية" **le centnaire de l'entrée constantine dans la partie française (183161937)** والذي زين ببعض المعارك الجيش الفرنسي وبعض الشخصيات التي كان لها دور سياسي أوعسكري كبير على مدينة قسنطينة طيلة قرن من الزمان، ولقد ألقيت خطب كثيرة اشادت فيها فرنسا بالانجاز الكبير الذي حققته في المدينة، وأكد غوستاف مارسييه أن قسنطينة أرادت أن تسجل تظاهرات الذكرى المئوية و أن تدخل تحت لواء الأمة الفرنسية معتبرا أن المئة عام الماضية القرن الوحيد للسلم الذي عرفته قسنطينة منذ ألفي سنة[1].

إن الهدوء والنظام الذي ساد هذه الاحتفالات لم يكن يعبر في الحقيقة عن فرح الاهالي كما لاحظ بعض الفرنسيين، ولا عن رضاهم بما كان يجري أمام اعينهم وإنما كان يعبر عن الهدوء الذي كان يسبق العاصفة، هكذا إنطفأت أنوار الاحتفالات التي لم تقدم للمسلمين إلا الشعور بالخيبة والذل هذه الاضواء التي كانت كشعلة كبيرة للفرح. كما جاء في صحيفة الاهالي الصادرة في **5 جوان 1930م** لم تترك ورائها سوى رماد الذي نثرته الرياح[2].

- **فرنسا**

لقد تعدت هذه الاحتفالات أرض الجزائر حيث أقيم معرض بباريس خاص باحتلال الجزائر لتعريف الأوروبيين بالإنجازات الاستعمارية الفرنسية على الأراضي الجزائرية من جهة، وتشجيع الباريسيين بالجهرة للجزائر من جهة أخرى،

[1]- أحمد الصاري، المرجع السابق، ص 126.

[2]- بن حسين كريمة، المرجع السابق، ص 34.

إضافة الى تعريف الباريسيين بالمهمة الصعبة التي ألقيت على كاهل الجيش الفرنسي من أجل جعل الجزائر قطعة من فرنسا ، وفي إطار الإحتفالات تم إعادة تشكيل الجيش الإفريقي بزيه القديم وتقديم عرض عسكري في باريس يوم **14 جوان 1930م**.[1]

4- مظاهر الاحتفالات المئوية

بعدما تم رصد ميزانية ضخمة للاحتفالات حرصت الإدارة الاستعمارية على تخليد هذه الذكرى بالتنويع للاحتفالات، ويظهر هذا التنوع في المظاهر التي سوف أتطرق إليها فيما يلي :

3.أ- تدشين محطة البث الإذاعي في 1 نوفمبر 1929م

تم تدشينها من طرف الوالي العام بيار بورد ، بحظور شخصيات فرنسية مهمة ، وقد تم إنجازها من ميزانية المئوية ، حيث كانت في الجزائر إذاعة هاوية منذ **1928م** ، شارك في افتتاحها محمد العنقا وعدة شيوخ أمثال وليد سيدي السعيد ، وكانت قوة إرسالها لا تتجاوز **500** كلم ، وبمناسبة الاحتفال المئوي بالاحتلال عزم الفرنسيون على توسيع شبكة الإرسال وتدعيم قوتها حتى تصل إلى **12.000** وات وكانت تسمى إذاعة محطة الجزائر.

[1]- سهام بعيجي ، المرجع السابق، ص 46- 47.

وخطط الفرنسيون أن يجعلوا من الإذاعة وسيلة لنشر التأثير بين الجزائريين باللغة الفرنسية والعامية العربية ، ونادى باحثوهم بضرورة نشر الأفكار الفرنسية بلغة الأهالي[1]. وقد تم تقديم موعد التدشين حتى تتمكن السلطات الفرنسية من استغلال هذه الإذاعة في الدعاية و الإشهار للعيد المئوي. وأثناء حفل التدشين تم إلقاء عدة خطابات عبر أصحابها من خلالها على اهمية هذا الإنجاز وتطلعاتهم المستقبلية ، ومن أبرز هذه الخطابات الكلمة التي ألقاها م. غال رئيس المندوبيات المالية التي جاء فيها مايلي : «أود في هذه الساعة أن يستمع شبابنا المتمدرس صوت الجزائر ، التي تحثهم على زيارتها خلال الاسابيع القادمة ليروا بأعينهم ... كيف تمنكت فرنسا من خلال هذا الجهد المتواصل طيلة سنوات ، من نشر السلم والامن والفرح ، أين كانت تهيمن منذ قرون الفوضى والمجاعة والإرهاب... سوف تقولون عند عودتكم إلى الديار أنكم رأيتم الفرنسيين والأهالي يمشون يدا بيد إلى مستقبل زاهر»[2].

3.ب- النصب التذكارية المخلدة للذكرى المئوية

قامت اللجنة المكلفة بتنظيم هذه الذكرى بتقديم عناية كبيرة لإقامة نصب تذكارية تعظيما وتخليدا لأهم الشخصيات السياسية والعسكرية الفرنسية وإنشاء نصب أخرى لأهم المحطات التاريخية الاستعمارية التوسعية والتي تدخل في إطار طمس المعالم العربية الإسلامية للجزائر[3]، من أهم النصب نذكر:

[1]- أبو القاسم سعدالله، تاريخ الجزائر الثقافي (1830م- 1954م)،ج5،ط1،دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان،1998م، ص 300.

[2]- محمود علالي، المرجع السابق، ص 76.

[3]- ابو القاسم سعدالله، الحركة الوطنية، ج1، المرجع السابق، ص 60.

1- النصب التذكاري ببوفاريك

تعتبر أولى المستوطنات التي بناها الكولون في الجزائر ، وكانت أولى محطة لانطلاق التوسعات العسكرية في سهل متيجة ، شكلت لجنة خاصة تشرف على أدق التفاصيل ، وكان من بين أهم وجوهها النحات الفرنسي **هنري بوشار " henri bouchard"** ، تم تدشين هذا النصب في **05 ماي 1930م** بحضور رئيس الجمهورية الفرنسية **غاستون دومريقو** إضافة الى عدة شخصيات مهمة.

2- النصب التذكاري في سيدي فرج

حدث خلاف حاد في الأوساط السياسية داخل الجزائر وخارجها حول إنجاز هذا المشروع الذي يخلد عمليات الإنزال الأول للغزو الفرنسي على الجزائر، وقد حدثت ضجة إعلامية تحسبا لما يسببه من إثارة لمشاعر الجزائريين، وقد دعم دعاة إقامة هذا النصب موقفهم كون الجزائريين نسوا أحقادهم بعدما شهدوا ماحققته الحملة وبالتالي فهم مؤيدون ولو بصمتهم. لقد كلفت عملية إقامة هذا النصب **180** فرنك فرنسي[1] وتم تدشينه يوم **14 جوان 1930م** المصادف لعملية الإنزال، كتب عليه العبارات التالية: «هنا في **14 جوان 1830م** بأمر من الملك **شارل العاشر** وتحت قيادة **دي بورمون** ، الجيش الفرنسي يعلي راياته ويعيد الحرية في البحر ويعطي الجزائر لفرنسا... **100** سنة بعد ذلك الجمهورية الفرنسية أعطت لهذا البلد السعادة، الحضارة مع العدالة». «الجزائر الممنونة تقدم وطن الأم اعترافها بولائها العظيم».

[1]- ابو القاسم سعدالله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج2،المرجع السابق، ص 299.

3- نصب تذكارية أخرى

واصلت السلطات الإستعمارية تخليد أهم مآثرها ومحطاتها التاريخية وذلك بإقامة نصب تذكارية أخرى، مثل النصب الخاص ببوتان الذي كان له الدور الكبير في نجاح الحملة الفرنسية، قدرت تكلفة إنجازه **63** فرنك فرنسي دشن في **7 جوان**، ألقى الوالي العام **بيار بورد** خطابا أشاد فيه بدور بوتان كقائد عسكري ومهندس للحملة[1]، كما أقيم نصب تذكاري مخلد لمركز القالة لصيد المرجان الذي كان سببا في بداية العلاقات الفرنسية الجزائرية[2]، والذي بدوره ساهم أو سمح لفرنسا من التخطيط لعملية احتلال الجزائر وذلك بعد تقديم نموذج مفصل عن الجزائر. الصحراء الجزائرية لم تستثنى من برنامج الاحتفالات حيث تم إقامة نصب تذكاري في منطقة ورقلة لرحلة الثنائي **فورو- لامي foureau-lamy**.

3.ج- انعقاد عدة مؤتمرات

تم عقد **59** مؤتمرا واستقطاب **80** الف زائر الى الجزائر، من ضمنهم ثمانية وزراء و**306** برلمانيا قدموا إليها في شكل مجموعات[3]. من أهم المؤتمرات نذكر:

- مؤتمر اتحاد النقل بالسكك الحديدية والنقل بالسيارات (الحاكم العام بيار بورد).
- مؤتمر الزهرة والبرتقالة في القليعة "المنيعة" (السيد ريكار).
- مؤتمر التعاضدية (السيد اكزكلينا).

[1]- محمود علالي، المرجع السابق، ص 58.

[2]- جمال قنان، معاهدات الجزائر مع فرنسا (1619م- 1830م)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1987م، ص 173.

[3]- شارل روبير آجرون، تاريخ الجزائر المعاصر من انتفاضة 1871م الى اندلاع حرب التحرير 1954م، ط1، مجلد2، تر: عياش فاطمي وآخرون، شركة دار الأمة، الجزائر، 2008م، ص 659.

- مؤتمر أعضاء الجمعية المهنية للصحافة الجمهورية بالجزائر(مارسيل بورد).
- مؤتمر الصحافة الاستعمارية.
- المؤتمر 12 لفدرالية جمعيات قدماء تلاميذ المدارس الإبتدائية العليا في فرنسا والمستعمرات (السيد ديجو).[1]

3.هـ- المدارس والمساعدات الاجتماعية للجزائريين

كانت فرنسا تسعى من خلال هذا إظهار مجهودها في شمال إفريقيا، خاصة في تمدين وتحرير الأهالي الجزائريين، فعمدت فرنسا على إنشاء مجموعة من المدارس التي لا تخرج عن إطار الحرف التقليدية نذكر منها:

1- مدرسة بجاية للنسيج

بدأت الأشغال فيها في فيفري **1930م** ، كانت مقتصرة على النساء والفتيات، أوكلت مهام تسييرها للنساء البيض بهدف تقريبهن.

2- مدرسة الزرابي بتلمسان

انشأت هذه المدرسة لطبيعة المنطقة تم المصادقة على هذا المشروع في **28 جوان 1928م** ، وبدأ في انجازها في ديسمبر **1929م**. ضمت المدرسة مجموعة من المرافق والاقسام : قسم المعارض، قسم الألوان وقسم التخزين.....الخ.

3- مدرسة الفخار بتيزي وزو

تم تدشينها في **25 ماي 1930م** من طرف الوالي العام بحضور شخصيات فرنسية وشخصيات من المعمرين.[1]

[1]- محمود علالي، المرجع السابق، ص 59- 61.

4- مدرسة التكوين في الحلي التقليدي

تم تدشينها في **20 جوان 1930م** ضواحي مدينة الجزائر من طرف الوالي العام بورد وبحضور شخصيات فرنسية. لقد كان هدف فرنسا من وراء إنشاء هذه الدور هو إستثمار هذا التنوع والزخر الكبير في الثقافة الجزائرية بطبوعها المختلفة.

5- المساعدات الإجتماعية

خصصت فرنسا خمسة ملايين فرنك فرنسي من مجموع مساهماتها في ميزانية برنامج العيد المئوي لإقامة مشاريع ذات طابع اجتماعي لمساعدة الأهالي الجزائريين :

- تقديم مساعدات اجتماعية لمنطقتي قسنطينة ووهران، كما تم فتح دار للأيتام والعجائز في نواحي بني مسوس بالجزائر.
- بناء دار للأيتام الأهلية في سيدي مبروك بقسنطينة بطاقة استيعاب **200** طفل.
- تم منح مساعدات مالية قدرت **25000** فرنك فرنسي لتجديد زرابي المساجد وإعادة ترميم زوايا سيدي يحي ببجابة وسيدي فرج بالجزائر.[2]

3.و- زيارة رئيس الجمهورية الفرنسية للجز ائر

حرصت الادارة الفرنسية المنظمة للاحتفالات بحضور شخصيات تليق بمستوى هذه الأخيرة، فعمدت على توجيه الدعوات الى شخصيات رفيعة المستوى في الادارة المركزية من نواب فرنسيين في البرلمان ومجلس الشيوخ، وزراء، اضافة الى وفود

[1]- محمود علالي، المرجع السابق، ص 84- 85.

[2]- نفسه 86.

دبلوماسية...الخ، لكن الغاية الكبرى كانت بحضور رئيس الجمهورية باعتباره اعلى سلطة حاكمة في فرنسا.

غادر الرئيس الفرنسي في **2 ماي 1930م** ، ليصل الى ميناء طولون في **3** من نفس الشهر وهو ما يوافق اليوم الذي انطلقت فيه الحملة إتجاه الجزائر من نفس الميناء، المركب الذي يقود رحلة الرئيس يحمل اسم الدوق **دوكسون** إسم أكبر البحارين الذين كانوا في سنة **1682م**، والذين قاموا بقصف الجزائر بقصد تحرير الاسرى المسيحيين المعتقلين في سجونها.

وصل الرئيس الفرنسي الى الجزائر يوم **4 ماي** اين قام بتدشين بعض المنجزات كالمدارس الاهلية في القصبة مع غياب تام للممثلي الاهالي عن الموكب الرئاسي. ولقد اقتصرت جل التدخلات حول الاشادة بالانجازات الفرنسية ودور الكولون فيها، ولعل ابرز تلك التصريحات ما صرح بيه **برينال** شيخ بلدية الجزائر و**دير وكس** نائب مجلس الشيوخ[1] يوم **10 ماي** اثناء حضور الرئيس الفرنسي لاستعراضيين أحدهم عسكري اثناء مأدبة العشاء في المقر الرئيسي لمندوبيات المالية، حيث توافقت خطاباتهم وكأنها صيغت بقلم واحد حيث قال أحدهم «سيدي رئيس الجمهورية اننا ننوه بمجهودات ابناء فرنسا الكولون في الجزائر بعملهم النبيل في سبيل عظمة ومجد فرنسا... وسواء منهم الطبيب، المعلم والمزارع، فنحن اذا نحتفل بمرور قرن من المجهودات الفرنسية في هذا الوطن..... فهم يثقون في مستقبل الجزائر » . رد عليه رئيس الجمهورية قائلا «انني ارى من واجهة مدينة الجزائر انه لا وجود للبؤس ولا الخوف ولا للتعدي والعنف

[1]- الياس نايت قاسم، المرجع السابق، ص 85- 87.

والكسل، هذه الاشياء التي كانت سائدة قبل مجيئنا الى هذا البلد » . ومن هنا نلاحظ التنكير الكلي لدور الاهالي رغم ان المأدبة لم تخلو من حضور الشخصيات الجزائرية.[1]

3.ي- الاستعراضات العسكرية والاهلية

1- الاستعراض العسكري بالعاصمة

ترجع فكرة تنظيم الاستعراض العسكري إلى ارموند رئيس لجنة الحفلات الرسمية التابعة لمحافظة العيد المئوي، واعتبرت هذه الفكرة تكريما وتشريفا للمؤسسة العسكرية التي قدمت عدة تضحيات من اجل إرساء سياسة فرنسا الاستعمارية في الجزائر، ولقد تم الاهتمام بادق التفاصيل من جميع النواحي إضافة الى تكوين فرقة موسيقية لتعزف على نفس مقاطع الجيش سنة **1830م**[2].

بدأت هذه الاستعراضات في **12 أفريل 1930م** على الساعة الثانية والنصف زوالا، انطلاقا من شارع الجمهورية بحضور عدة شخصيات منها الوالي بورد وتم إعادة نفس الاستعراض في كل من وهران وقسنطينة وحتى في باريس يوم **14 جويلية**، ولقد لقي نجاحا كبيرا لدى الفرنسيين الذين أردوا إحياء نشوة الانتصار على الجزائريين، كما تمت استعراضات بحرية للبواخر العسكرية حملت أسماء البواخر التي هاجمت الجزائر في إطار الحملة سنة **1830م**، وكان لهذا الاستعراض تأثير كبير على الاهالي الجزائريين[3].

[1]- محمود علالي، المرجع السابق، ص 87.

[2]- عباسي رحمة ودحمان فاطمة، مأوية الاحتلال الفرنسي للجزائر وانعكاساتها السياسية والاجتماعية (1930م-1945م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر في العلوم الانسانية تخصص تاريخ المغرب المعاصر، جامعة أحمد دراية، أدرار، 2020م- 2021م، ص 59.

[3]- نفسه، ص ص 59- 60.

2- الاستعراض الاهلي بخروبة

نضرا لأن ممثلي للجزائريين كانوا مقصيين من حفلة استقباله فقد تقرر تنظيم حفل خاص بالاهالي بموكب خروبة لسباق الخيل، يدخل في اطار فني تميزه الحياة البداوة من خلال الخيم والجمال، وشاركت في هذا الاستعراض العديد من الفرق العسكرية الخاصة بالاهالي مثل فرقة الصبايحية الخيالة وقناصة إفريقيا وفرقة الزواوة العسكرية غضافة الى فرقة المهارة للطوارق، أثناء ذلك تمت ترقية وتقليد العديد ممن تسميهم فرنسا بممثلي الاهالي من قياد وكبار العائلات الجزائرية من طرف رئيس الجمهورية الفرنسية خلال زيارته الجزائر[1]، وفي آخر هذا الاستعراض اهدي حصان عربي أصيل من طرف احد الباشوات كعربون وفاء وإخلاص لفرنسا، هذا التصرف احدث أثر كبير في الوطنيين الذين أقسموا انهم لن يسمحوا لفرنسا مستقبلا للاحتفال بالذكرى الثانية للاحتلال.[2]

ثالثا : أبعاد الاحتفالات

1- الابعاد المحلية

- لقد ركز المستعمر جهوده على الناحية البسيكولوجية تركيزا قويا، وذلك من أجل إدخال كلمة الفشل في عقول الجزائريين.
- تصاعد النضال الوطني كان يخيف فرنسا في تلك الفترة، لذلك عملت فرنسا للتصدي له وقطع الطريق أمام كل الاصوات المنادية بالاستقلال أو حتى المطالبة

[1]- محمود علالي، المرجع السابق، ص 70.

[2]- أبو القاسم سعدالله، الحركة الوطنية الجزائرية(1900م- 1930م)، ج2، المرجع السابق، ص 311- 312.

بإصلاحات فورية، انطلاقا من أن الجزائر بخير ولا تحتاج إلى تغير فهي مستعمرة هادئة.[1]

- إن الاحتفالات باحتلال الجزائر لم تكن بنصر عسكري حققته فرنسا بل ربطت بالقضاء على المقومات الشخصية الجزائرية، حيث قال أحد الفرنسيين بخصوص هذه المناسبة "إن احتفالنا اليوم ليس بمرور مئة عام على احتلالنا الجزائر، ولكنه احتفال بتشييع جنازة الاسلام فيها".

- إبراز قدرة الأساليب الاستعمارية في خلق اتحاد حميمي بين مجتمعين مختلفين في الثقافة واللغة يقول **غوستاف مرسييه** «يجب على العيد المئوي أن يسجل في أعين العالم نضج ثمار الجهد الفرنسي مدة قرن من العمل، والاتحاد الحميمي الذي أصبح يجمعها مع الأهالي » . ويعد العيد المئوي بعدا خطيرا كان يهدف لإيجاد مفهوم ثقافي للتقاء بين الوطنيين والمستعمر، وهذا ما دعا إليه كبار المستعمرين **كرومر** «إلتقاء أهل البلد المدنيين بالغربيين في منتصف الطريق » .[2]

2- الأبعاد الدولية

- كانت هذه الاحتفالات ورقة رابحة بيد فرنسا لتبرز من خلالها تفوقها الحضاري ومكانتها على الصعيد الدولي وذلك بعد الانتكاسة التي شهدتها بعد الحرب العالمية الاولى.

- دعم الاستعمار وتثبيت أركان الامبراطورية الفرنسية بعد اكتسابها حق الإنتداب على بعض المناطق العربية (سوريا، لبنان....).

[1]- إلياس نايت قاسم، المرجع السابق، ص 52- 54.

[2]- أنور الجندي، العالم الاسلامي والاستعمار السياسي والاجتماعي والثقافي من أوائل اليقظة حتى أواخر الحرب العالمية الثانية، دار الكتاب اللبناني، لبنان، د ت، ص 353.

- ابراز توفق الاساليب الاستعمارية في توطين ارض آهلة بالسكان، تقديم الجزائر كنموذج حي وواقعي ويعود ذلك لسببين تمثل الاول في الرد على بعض الادعاءات التي وصفت الاستعمار الفرنسي ووسائله وطرق تغلغله على انه استعمار أحمق الذي لا يتعظ من الدروس والتجارب، أما السبب الثاني فهو عدم تمكن فرنسا من اقناع العالم السياسي أن بقائها في سوريا ولبنان كان بطلب منهم لكن بعد الاستفتاء الامريكي رفضت هذه الشعوب وجود فرنسا مما شكل لها صدمة سياسية[1]، ولذلك رأت فرنسا أن مناسبة إحياء الذكرى المئوية فرصة لإقناع الغير ورد الاعتبار، وقال مرسييه بهذا الصدد «إن فرنسا في حاجة ماسة لتنفيذ مهمتها التقليدية لتلعب دورها كاملا في بناء عالم ما بعد الحرب العالمية وتنظيم المجتمعات التي وضعت ثقتها في أوربا لقيادتها، وستحصل عليها فرنسا بإظهارها النموذج الافريقي وبشكل خاص النموذج الجزائري، ونحاول إظهار عبقرية المستعمر الفرنسي » .

- الترويج لفكرة الجزائر المستعمرة الهادئة، ورد الإدعاءات التي نشرت في بعض الصحف من حالات التذمر السياسي والتوتر الإقتصادي.

- الاحتفال بالقضاء على ثورة الريف وإلقاء القبض على الأمير عبد الكريم الخطابي، وبالتالي القضاء على آخر الجيوب الوطنية بالمغرب العربي، وظهر تحدي فرنسا لمشاعر المغرب العربي عند عقدها المؤتمر الأفخارستي بتونس وإصدارها للظهير البربري بالمغرب الأقصى وهذا ما سنراه في الفصلين القادمين.

[1]- الأمير مصطفى الشهابي، محاضرات الاستعمار، ج2، معهد الدراسات العربية 1956م، ص 123.

خلاصة الفصل

- إن الدارس لمسار ذكرى الاحتفالات المئوية الفرنسية لاحتلال الجزائر يرى مدى اهتمام الادارة الاستعمارية بهذه الاحتفالات حيث عملت على تكريس كل جهودها من اجل تجسيدها على ارض الواقع بشكل مستفز.

- اقيمت هذه الاحتفالات تزامنا مع مرور قرن من الزمن على الوجود الفرنسي على ارض الجزائر، حيث استفزت من خلالها فرنسا مشاعر الشعب الجزائري الذي عملت على إخضاعه بشتى الطريق وطبقت عليه العديد من الأساليب، ولقد كشفت هذه الاحتفالات على مدى انانية الفرنسيين ومدى حقدهم وكرههم للإسلام والمسلمين.

- لقد كانت هذه الاحتفالات بالنسبة للمستوطنين والإدارة الفرنسية احتفالا بفوزهم على الشعب الجزائري حسب ظنهم الذي خابت أمالهم حيث كانوا يطمحون لبداية جديدة تقضي على العنصرية وتمنحهم بعض الحقوق، إلا أن فرنسا ومن خلال تنظيمها لهذه الاحتفالات أكدت للشعب أنه لا مجال للانتظار لكي تمنحهم فرنسا حقوقهم، ويمكن القول ان الاحتفالات ورغم ما تحمله من استفزازات إلا أنها عملت على توعية الشعب الجزائري والأحزاب الوطنية والتطلع الى مستقبل جديد ومشرق.

الفصل الثاني:

انعكاسات الاحتفالات بالذكرى المئوية لاحتلال فرنسا للجزائر 1930م على تونس

الفصل الثاني: انعكاسات الاحتفالات بالذكرى المئوية لاحتلال الجزائر 1930م على تونس

أولا: أوضاع تونس بعد الحرب لعالمية الاولى

1- الأوضاع السياسية

كانت مرحلة الحرب العالمية الاولى التي دارت مواجهاتها ما بين سنوات **1914م-1918م** مرحلة ترقب بالنسبة الحركة الوطنية التونسية، بانتظار ما تفرزه تلك الحرب من مستقرات دولية لها وانعكاسات على البلدان الواقعة تحت نير الاستعمار ومنها تونس، ولقد لوحظ خلال سنوات الحرب نمو حركة المقاومة إلا أن ذلك لم يدم طويلا[1]، حيث أدت هذه التحولات الناجمة عن الحرب إلى نمو الروح الوطنية، ورافق ذلك انتصار الحلفاء (إيطاليا- فرنسا- بريطانيا- الولايات المتحدة الأمريكية) وهزيمة ألمانيا والدولة العثمانية سلسلة من الأحداث الهامة والتي ساهمت في إرساء دعائم الحركة الوطنية، ومن أبرزها نذكر:

- **على المستوى الدولي**

مبادئ ولسن **14** والتي ذكرتها سابقا، حيث اعترف بحق الشعوب الخاضعة للهيمنة الاجنبية في تقرير مصيرها، وعلى الرغم من أن هذا المبدأ لا يشمل إلا الشعوب الأوروبية التي تعرضت للهيمنة الالمانية والنمساوية والمجرية، فان الزعماء الوطنيين لم يترددوا في توظيف مثل هذا المبدأ لصالح القضية التونسية. وأيضا الثورة البلشفية والتي ساندت حركات التحرر بالمستعمرات، إضافة الى معركة التحرير الوطني بمصر، والتي كان لها أثر

[1]- غليان سمير طه التريكتي، "الحركة الوطنية التونسية في سنوات خلال الحربين(1918م- 1939م)"، مجلة الآداب الفراهيدي، (جامعة تكريت كلية الآداب)، العدد 13، العراق، كانون الاول 2012م، ص 186.

عميق على زعماء الحركة الوطنية أمثال **عبد العزيز الثعالبي**[1]، وكذلك حصول طرابلس على الميثاق الاساسي وهو ميثاق ينص على إنشاء مجلس نواب منتخب من المواطنين الطرابلسيين وهذا ما أثر على النشاط الوطني التونسي، واعتبر القادة الوطنيون هذا الميثاق بادرة نحو تحقيق الاستقلال الداخلي لطرابلس[2].

- **على المستوى الداخلي**

وتمثل هذا في حصيلة الحرب أو ضريبة الدم فقد كانت نتائج الحرب مشاركة البلاد التونسية الى جانب الفرنسيين في مجهودها الحربي حيث فقدت تونس رصيدا بشريا هاما أثر ذلك سلبا على سوق الشغل الفلاحي بفعل نقص اليد العاملة بعد الحرب. ومع الضغط الفرنسي في تونس اقتنع زعماء حركات الشباب التونسي في الداخل والخراج بضرورة إعادة تنظيم صفوفهم، وتجلى ذلك في تأسيس الحزب الدستوري التونسي سنة **1919م**، وتعود بوادر نشأته الى الاجتماعات التي عقدت بالعاصمة سنة

[1]- عبد العزيز الثعالبي (1874م- 1944م): ولد بتونس سنة 1874م درس بالزيتونة وغادرها سنة 1895م دون أن يتم دراسته، اهتم بالصّحافة فأسس جريدة سبيل الرّشاد سنة 1895م ساهم في بعث جريدة الحاضرة وأشرف على جريدة التّونسي بالعربية، سافر إلى مصر سنة 1901م والتحق بالشيخين محمد عبده و رشيد رضا وتأثّر بدعوتهما في الإصلاح الديني والاجتماعي. ألف سنة 1904م كتاب روح القرآن وطبع بالفرنسية فأثار ضجة لدى الاستعماريين وسجن من أجله شهرين. نفي إثر حوادث الزلاج سنة 1912م إلى فرنسا ومنها انتقل إلى تركيا ثم الشرق الأوسط وعاد إلى تونس سنة 1914م. أسس الحزب الدستوري التونسي سنة 1919م وأعلن عنه رسميّا في 03 جوان 1920، اضافة الى تاليف كتاب تونس الشّهيدة في العام ذاته. هاجر سنة 1923م إلى فرنسا وإيطاليا. وعاد سنة 1937م وبعد خلافه مع بورقيبة اعتزل السياسة حيث اهتم باللغة العربية باعتبارها مقوما أساسيا للذاتية الوطنية وخصص فقرات عديدة في كتابه تونس الشهيدة للدفاع عنها والدعوة إلى تعليمها ونشرها إلى أن توفي في 1أكتوبر 1944م.

[2]- خليفة شاطر وآخرون، تونس عبر التاريخ والحركة الوطنية ودولة الاستقلال، ج3، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، 2005م، ص 84.

1919م، والتي اكدت على ضرورة سن دستور يضمن حقوق الاهالي فكان هذا الحزب في بدايته نخبويا، وقد تمكن زعماؤه من تجديد أشكال نظامهم، وذلك من خلال إرسال مذكرة في مارس **1919م** الى كل من الرئيس الامريكي ولسن والى مؤتمر الصلح **1919م** بباريس يطالبون فيه بتطبيق مبدأحق الشعوب في تقرير مصيرها على البلاد التونسية، الا أن الحزب فشل في مسعاه و سارع الوطنيين بعد ذلك الى تعديل خطة عملهم وتوجهوا الى كسب مساندة الاحزاب اليسارية الفرنسية من جديد والمراهنة على تفهمها لمطالبهم، وقد رفعوا النداء الى الاشتراكيين الفرنسيين طالبوا فيه بحرية الشعب التونسي في نطاق عصبة الامم[1]، وبهذا كلف الحزب التونسي **أحمد السقا**[2] بالتوجه الى مؤتمر الصلح ليعمل على نشر القضية التونسية، ثم لحق به الشيخ الثعالبي ولما لم يجدا ما كان يأملانه من هذا المؤتمر نتيجة إهمال الدول المنتصرة لقضايا الشعوب الضعيفة، فتوجه عبدالعزيز الثعالبي الى إثارة الرأي الاوروبي عامة والفرنسي خاصة لحقيقة القضية التونسية فنشر كتاب تونس الشهيدة عام **1920م**[3].

لقد وزع هذا الكتاب على أعضاء البرلمان الفرنسي كما تم ارسال نسخة منه الى ادارة الصحف الكبرى بفرنسا وعدة بلدان اوروبية كإيطاليا واسبانيا وسويسرا وبريطانيا، إضافة الى ارسال بعض النسخ منه الى البلدان العربية الاسلامية، وقد تسرب هذا

[1]- خليفة شاطر وآخرون، المرجع السابق، ص 85.

[2]- أحمد السقا: أحمد بن محمد صالح من مواليد المنستير بتونس في 3 مارس 1892م، شغل مسؤوليات هامة في الادارة الفرنسية من بينها قائدا لقابس، حصل على شهادة الدكتوراه في القانون سنة 1916م من جامعة باريس.انظر: امحمد يزير، عبدالعزيز الثعالبي وقضايا عصره (1874م-1944م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستيرفي التاريخ الحديث والمعاصر، تخصص: العلاقات بين المغرب والمشرق في العصر الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر2، بوزريعة، 2010م-2011م، ص 73.

[3]- خيرالدين شترة، إسهامات النخبة الجزائرية في الحياة السياسية والفكرية التونسية (1900م- 1939م)، دار البصائر، الجزائر، 2009م، ص 33.

الكتاب الى كل من الجزائر وتونس رغم المراقبة الادارية المشددة. وشكل هذا الكتاب لحظة مهمة في تاريخ الحركة الوطنية التونسية حيث لخص همومها ومطالبها[1].

كما ان هذا الكتاب فضح دسائس وجرائم الاستعمار الفرنسي في حق الشعب التونسي، واحتوى على التأكيد القاطع على الوجود التاريخي لأمة ودولة التونسيين، وعرض في خاتمته وبصورة اكثر اعتدالا وقابلية لتطبيق أهم المطالب التونسية[2]، ومن هذه المطالب نجد:

- أن تكون السلطة التنفيذية وراثية في العائلة الحاكمة لصالح افرادها حسب السن والعرق المعمول به في المملكة.
- يسهر على السلطة التشريعية مجلس أعلى يتكون من **60** عضوا، اضافة الى تأسيس سلطة قضائية مستقلة.
- منع الحكومة من التدخل في المنظمات الاقتصادية المتولدة عن المبادرة الا للمراقبة الوقائية.
- تنمية الاجهزة الفلاحية وتعميم الطرق لتكون في متناول الجميع وإلغاء الامتيازات والاعفاءات الجبائية.
- حق كل تونسي في مهما كان دينه وجنسيته في المشاركة في كل الوظائف العمومية.
- إحداث مدرسة ترشيح المعلمين التونسيين والامداد بإطارات لتعليم اللغة العربية وحرية التعليم.

[1]- عبد القادر خليفي، أحمد توفيق المدني "النضال السياسي والاسهام الفكري في الساحتين الجزائرية والتونسية (1899م- 1983م)، دار المحابر، الجزائر، ص 27.

[2]- محمد الهادي شريف، ما يجب ان تعرف عن تاريخ تونس من عصور ماقبل التاريخ الى غاية الاستقلال، تع: محمد الشاوش ومحمد عجينة، ط3، دار سراس للنشر، تونس، ص 116.

- تأليف حكومة وطنية مسؤولة امام الشعب[1] والمساواة بين الجميع امام القانون وامام الوظائف العامة.

وعندما لم يجدوا تجاوب مع منظمي المؤتمر اتجهوا لتشكيل حزب وطني أدى دور مهم في تاريخ تونس المعاصرة وهو الحزب الدستوري في **30 مارس- جوان 1920م** الذي اتخذ اسم وفق ما يناسب برنامجه، هذا الحزب سيكون في العشرينات حافزا فعليا للحركة الوطنية التونسية والذي تاسس من طرف انصار عبد العزيز الثعالبي[2]. ولقد كان لهذا الحزب قانون اساسي وهياكل وبرنامج ومطالب والتي ألخصها في النقاط التالية:

- **الاستقلال الداخلي**

اذا كان البرنامج الاول للحزب يهدف على المدى البعيد الى حصول البلاد على الاستقلال وإلغاء نظام الحماية فانه على المدى القريب يكتفي بالمطالبة بنظام دستوري يمنح الشعب التونسي الحق في تسيير شؤونه بنفسه، وفعلا فقد كان الهدف الاساسي للحزب هو تحرير البلاد التونسية من نير العبودية والظلم و الاضطهاد حتى يتمكن الشعب التونسي من التمتع بالحقوق والحريات التي تتمتع بها كل الشعوب الحرة[3].

[1]- الطاهر عبد الله، الحركة الوطنية التونسية (1830م- 1956م) رؤية شعبية قومية، ط2، دار المعارف للطباعة والنشر، تونس، دت، ص 55.

[2]- علي محجوبي، مايجب أن تعرف عن انتصاب الحماية الفرنسية بتونس، تع: عمر بن حنو وآخرون، د ط، دار سراس للنشر، تونس، 1986م، ص 236.

[3]- يوسف مناصرية، الحزب الحر الدستوري التونسي (1919م- 1934م)، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، 1986م- 1987م، ص ص 58- 59.

وتمثلت مطالبه السياسية في الفصل بين السلطات الثلاث و الابقاء على الملوكية في العائلة الحسينية وغيرها، وهي نفس الخطوط العريضة المستوحات من المطالب التي تم تقديمها في كتاب تونس الشهيدة فمثلا لا تنص هذه الوثيقة على منح مقاعد للفرنسيين في المجلس الاعلى لان أرضية الدستور تخصص لهم حيزا، كما سكتت تونس الشهيدة على السياسة الخارجية للإيالة فإن برنامج الدستور يعهد بصلاحياتها إلى الجمهورية الفرنسية وبمقتضى هذه الوثيقة فمن صلاحيات المقيم العام تسيير السياسة الخارجية للبلاد التونسية الى ان تصبح قادرة على تسيير أمورها بنفسها، ومباشرة فان الاعتراف بالحماية جاء في هذا البرنامج بصورة أوضح مما ورد في كتاب تونس الشهيدة لكنه يحددها بأحكام معاهدة باردو ويعتبرها مؤقتة[1].

- **إصلاحات في نطاق الحماية**

اعتمد هذا البرنامج الجديد الذي يمثل تراجعا بالنسبة الى السابق على هذه النقاط الثمانية:

1. مجلس تفاوضي مركب من أعضاء تونسيين وفرنسيين منتخبين بالاقتراع العام.
2. حكومة مسؤولة أمام هذا المجلس.
3. الفصل التام بين السلطات الثلاث.
4. دخول التونسيين الى جميع الوظائف.
5. التساوي في المرتبات.
6. تنظيم مجالس بلدية تنتخب عن طريق الاقتراع العام في جميع المراكز التونسية.

[1]- علي محجوبي، جذور الحركة الوطنية التونسية (1904م- 1934م)، تع: عبد الحميد الشابي، ط1، المجمع التونسي للعلوم والاداب والفنون، تونس، 2000م، ص 242.

7. تأسيس الجمعيات[1].

8. حرية الصحافة والاجتماعات ومشاركة التونسيين في الشراء ومقاسمة الاراضي الفلاحية.

وكان هذا الحزب يتألف من أربعة تيارات هي:

- التيار الثوري وكان يدعوا الى الاستقلال الكامل للتراب التونسي ومعاداة الفرنسيين وكان يمثله محمد باش حمبه.
- تيار المساواة وكان ينادي بتحقيق المساواةبين التونسيين والفرنسيين وتحقيق ذاتي في إطار الجمهورية الفرنسية وتزعمه **حسن قلاتي**[2].
- التيار المعتدل والذي كان يسعى الى النهوض بالتونسيين في إطار سلطة الحماية وكان يشرف عليه **فرحات بن عياد**[3].
- والتيار الأخير فكان يقوده عبد العزيز الثعالبي وقد وقف موقفا وسطا يجمع بين التيارات المختلفة وهو في الاصل تيار عربي إسلامي، وفي سياق تأسيس هذا الحزب انتخب الثعالبي رئيسا له من طرف النخبة التونسية رغم وجوده في السجن، كما انتخب رئيسا للجنة التشريعية وهذا دليل على أن الثعالبي كان يمثل رجل الوفاق بين أعضاء

[1]- علي محجوبي، جذور الحركة الوطنية، المصدر السابق، ص 242.

[2]- حسن قلاتي (1882م- 1966م): من أصول جزائرية قدم الى تونس وهو صغير، كان والده يعمل مترجما عدليا فانتقل الى سوسة ومن ثم الى العاصمة تونس، درس في معهد كارنوا زكان يتلقى دروسا العربية بجامع الزيتونة أصبح محاميا سنة 1902م، ساند الأفكار الوطنية ونفي عقب أحداث التراموای والزلاج، التحق بالحزب الدستوري عند تأسيسه ثم انشق عنه ليؤسس الحزب الاصلاحي عام 1920م، توفي في 27 نوفمبر 1966م. انظر: الصادق الزمرلي، أعلام تونسيون، تقديم وتعريب: حمادي الساحلي، ط1، الغرب الاسلامي، بيروت، 1986م، ص ص 333-340.

[3]- فرحات بن عياد: شخصية سياسية تونسية، كان ممثلا للحزب الدستوري بفرنسا ثم اسس الحزب الحر في 13 نوفمبر 1922م.

النخبة التونسية الى غاية خروجه من تونس سنة **1923م**، كما ضم هذا الحزب أيضا في صفوفه محتلف شرائح المجتمع التونسي من محامين وفلاحين وطلبة وتجار وحرفيين.

وفي أواخر سنة **1920م** قدم الحزب الدستوري التونسي بصفة أوضح مطالبه الثمانية مضيفا إليها نقطة تاسعة وهي اقرار التعليم الاجباري بالبلاد، وهذه المطالب التي تم تقديمها لا تطعن نظام الحماية بل اقتصرت على تطبيق المبادئ التي تسود المجتمع الفرنسي على جميع سكان الايالة بغض النظر عن العرق والجنسية، وذلك ضمانا لممتلكات السكان التونسيين وحرياتهم، وعلى هذا الأساس عر البرنامج المسطر في العرائض على توقيع الاهالي، وقد كان يهدف إلى أن هذه المطالب لم تكن منبثقة عن مجموعة صغيرة وحسب بل هي تعبر عن إرادة شعب بأكمله[1].

وارتكز نشاط الحزب الدستوري الحر على ارسال الوفود الى باريس والاتصالات التي كان يقوم بها ممثلوه هناك مع مختلف الهيئات الفرنسية وبعض البلدان الغربية الاخرى هذا خارج تونس، أما في الداخل فقد ذهب الوفد الدستوري الى الباي في **18 جوان 1920م** حيث ضم أربعون عضوا وحرص على ضمان تأييد الباي للقضية الوطنية لحمله على المطالبة بدستور وقد استجاب الباي إلى رغبة هذا الوفد داعما بذلك الحزب الدستوري الذي لم تعد مطالبه تنبثق من تنظيم غير شرعي بل من أمير اعترفت سلطات الحماية بسيادته الداخلية، ولقد ذكر أحمد توفيق المدني أن هذا الوفد ضم علماء ومحامين وتجار وعمال ومدرسين[2] .....

[1]- علي محجوبي، جذور الحركة .....، المصدر السابق، ص ص 250- 251.

[2]- خليفة شاطر وآخرون، المرجع السابق، ص 87.

أما في الخارج فقد سافر 3 وفود حيث: سافر الوفد الاول في **جوان 1920م** يحمل عريضة الشعب التونسي الى الشعب الفرنسي[1] مطالبا اياه بمنحه دستور يضمن له حرياته، وقد استقبل الوفد من طرف رئيس ديوان الرئيس الفرنسي وتحصل منه على وعود لتلبية مطالبه[2].

وبعد مدة سافر الوفد الثاني في **22 ديسمبر 1920م** وبداية **جانفي 1921م** حيث كان أكثر تمثيلا من الوفد الأول، وركز على عدم تعارض مطالبه مع المصالح التي تخدم فرنسا بتونس، فرفض المقيم العام **لوسيان سان**[3] هذه النقاط المتعلقة بإنشاء مجلس استشاري وحكومة مسؤولة أمامه. وعاد الوفد هو الآخر مكللا بالوعود بتحسين أوضاع التونسيين ومنحهم الحريات العامة مكافأة لهم على المشاركة جنب فرنسا في الحرب[4]، وكرد فعل على مطالب هذا الوفد قامت سلطات الحماية بتطبيق سياسة فرق تسد وهي سياسة إضعاف الحزب الدستوري الحر مما أدى هذا إلى تصدعه وعزلته، وذلك من خلال ما قام به لوسيان سان على استغلال تباين رؤى الدستوريين مشجعا ببعض العناصر عن الانشقاق عن الحزب الحر وتأسيس الحزب الاصلاحي[5] فهذا الحزب تأسس في **فيفري 1921م** بعد رجوع الوفد الدستوري الثاني من باريس وترأسه حسن قلاتي، وكان الخلاف بين الدستوريين والاصلاحيين هو تنافر شخصي بين عبد العزيز

[1]- يوسف مناصرية، المرجع السابق، ص 232.

[2]- أنظر الملحق رقم (6).

[3]- لوسيان سان: ولد في 26 أفريل 1867م بافرو، مقيم عام فرنسي بكل من تونس سنة 1920م والمغرب ، واشتغل عدة مناصب أهمها المحاماة قبل الانتقال الى ادارة المحافظة، حيث تقلد وظيفة رئيس ديوان محافظ "أ" و "ب" ثم محافظ "أمين"، وفي 1929م انتقل الى المغرب ثم عاد الى فرنسا سنة 1937م حيث انتخب شيخا. توفي في 24 فيفري 1938م. انظر: علي محجوبي، جذور.....، المصدر السابق، ص 266م.

[4]- يوسف مناصرية المرجع السابق، ص 232.

[5]- خليفة شاطر وآخرون، المرجع السابق، ص 90.

الثعالبي و **أحمد الصافي**[1] من جهة، وحسن قلاتي ومحمد بن نعمان[2] من جهة أخرى. حيث عاب الاصلاحيون على الدستوريون العمل على حساب ارادة القيادة من دون استشارة القادة، كما اتهموهم بالاستحواذ على اموال الحزب والتطرق في ازعاج الفرنسيين، واعتبر الاصلاحيون الاندماج سبيلا أسلم لإعتاق التونسيين، في حين تجنب الدستوريين استعمال لفظ الاندماج غير أن ابعاد مطالبهم كانت اندماجية[3].

والحقيقة أن الاختلافات بين الدستوريين والاصلاحيين تركزت على العديد من المشاكل والتي تمثلت في العلاقات التي يجب اقامتها مع سلطات الحماية اضافة الى طبيعة وعمق المطالب التونسية، حيث طلب الاصلاحيون بإقامة تعاون فرنسي تونسي أساسه المبادئ الاساسية للثورة الفرنسية[4]، مما أثر هذا وأدى الى القطيعة فأسسوا

[1]- أحمد صافي: ولد عام 1890م بالعاصمة تونس درس بمعهد كارنو ثم التحق بكلية الحقوق بباريس درس الحقوق بها سنة 1909م انخرط منذ شبابه في حركة الشباب التونسي وكان أول بروز له في معركة الجلازسنة 1911م، نال مكانة مرموقة لدى التونسيين ، فكان الحرفاء يتوافدون على مكتبه من مختلف مناطق البلاد التونسية لما عرف عنه من جدية وحرص على خدمة حقوق التونسيين من ناحية، ولعدم التشدد في تقاضي أجرة أتعابه من ناحية أخرى، انتخب أمينا عاما للحزب الدستوري التونسي سنة 1920 فكان الشخصية الثانية في الحزب بعد مؤسسه الشيخ عبد العزيز الثعالبي، وتحمل أعباء تسيير الحزب خلال مدة هجرة الشيخ عبد العزيز الثعالبي التي دامت 14 عاما. وعُرف بحرصه على موارد الحزب وبدعمه المالي له. أرسل على رأس الوفود الثلاثة التي وجهها حزبه سنة 1920م لباريس لعرض القضية التونسية على دوائر القرار الفرنسي. كتب في عدد من الصحف التونسية. توفي سنة 1935م بتونس. انظر: علي محجوبي، جذور.....، المصدر السابق، ص 256.

[2]- محمد بن نعمان: من مواليد 1875م بتونس، درس بالمدرسة العلوية وتخرج منها، عمل مدرسا بالمدرسة الحكومية، زاول مهنة المحاماة بمصر ثم عاد الى تونس وبعدها ذهب الى فرنسا، كتب العديد من المقالات في العديد من الجرائد والمقالات وتطوع بتحرير المقال الرئيسي لجريدة الزهرة اليومية. انظر: أمحمد يزير، المرجع السايق، ص 75.

[3]- الطاهر عبدالله، المصدر السابق، ص 56.

[4]- خير الدين شترة، المرجع السابق، ص 111.

جريدة خاصة بهم وهي جريدة البرهان[1] والتي أطلقوا عليها فيما بعد اسم النهضة[2]، ولقد كانت هذه الازمة التي شهدها الحزب وإضافة اليها حصلت أزمات أخرى أذكر منها:

- **أزمة 22 أفريل 1922م وتقهقر الحركة الوطنية**

لقد كانت هذه الأزمة نتيجة السياسة القمعية التي سلكها نظام الحماية فبعد أن ضبط الحزب استراتيجيته لمرحلة جديدة من خلال محاولته اقناع الرأي العام الفرنسي بمطالبه، سعى المقيم العام الى فك التحالف بين الباي والحزب الدستوري من جهة وعزل الحركة الشيوعية من جهة أخرى[3].

- **انشقاق الحزب المستقل**

جاء نتيجة أزمة **22 أفريل 1922م** وتداعياتها على الحركة الوطنية وعلى رأسها الحزب الحر الدستوري الذي تعرض الى محنة اخرى، فمن الانشقاقات التي تعرض لها هي انفصال احد زعمائه وممثليه الفاعلين وهو فرحات بن عياد[4]، ويرجع بعض المحللين هذا الموقف من فرحات الى كونه برجوازيا ولذا حذر من الارهاب والتهديدات التي أصدرتها سلطات الحماية ضد قادة الدستور، كما يفسر حقده على قادة الدستور

[1]- جريدة البرهان: ظهر أول عدد لها في 19 ديسمبر 1921م ، وهي لسان الحزب الاصلاحي لم تعمر طويلا حيث توقفت عن الصدور في 1922م. انظر: طرفاوي أحمد، عبد العزيز الثعالبي وبعض القضايا من خلال مؤلفاته (1875م – 1944م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، تخصص ضفتي البحر الابيض المتوسط، جامعة الجزائر 2، 2011م-2012م، ص 46.

[2]- خير الدين شترة، المرجع السابق، ص 112.

[3]- محمد لطفي الشايبي، الحركة الوطنية التونسية والمسألة المالية النقابية (1894م- 1956م)، ج1، مركز النشرة الجامعي، تونس، 2010م، ص 186.

[4]- علي محجوبي، المصدر السابق، ص 327.

الذين لم يكونوا يمدونه بالمال الكافي للعمل والعيش، حيث كان مكلفا بتمثيل الحزب بباريس[1]، فكل هذه الاسباب وغيرها دفعته إلى تأسيس هذا الحزب، ولقد قام بشن حملة صحفية ضد عبد العزيز الثعالبي ورفقائه حيث طعنهم لاحتكارهم الوطنية واتهمهم باختلاس أموال الحزب الدستوري لفائدتهم الشخصية، لكن هذه الحركة لم تحقق أهدافها إذ أن فرحات بن عياد كان يهدف الى خدمة مصلحته الشخصية على حساب الشعب، مما أدى الى زوالها نهائيا[2].

- **إصلاحات 1922م**

لم تغير فرنسا طبيعة نظام الحماية، صحيح أنها قبلت لأول مرة منذ الحماية **1881م** مبدأ تمثيل السكان التونسيين عن طريق الانتخاب في مجالس محدثة في المستويات المحلية والجهوية الوطنية (مجالس العمالة ومجالس الجهات والمجلس الكبير) إلا أن الاقتراع هو أبعد ما يكون عاما، وهكذا فقد أصبح من الممكن لمجموعة من التونسيين البعض منهم أن يناقشوا لأول مرة منذ تطبيق نظام الحماية المشاكل الاقتصادية والمالية المتصلة بالميزانية لبلادهم[3]. لقد أدت اصلاحات **جويلية 1922م** الى عزل واستلاخ العديد من العناصر الدستوريين عن الحزب، مما أدى الى تقليل موارد الحزب وتقليص نشاطه، أدى هذا الى تعميق الخلافات بين الدستوريين ولم يستطع الثعالبي تطويق والقضاء على هذه الخلافات الداخلية التي حدثت، وهكذا نفذت خطة المقيم العام الذي أرغم عبد العزيز على مغادرة البلاد التونسية نحو المشرق[4].

[1]- أحمد توفيق المدني، حياة كفاح.....، المصدر السابق، ص ص 262- 263.

[2]- علي محجوبي، جذور....، المصدر السابق ، ص 322.

[3]- نفسه، ص 332.

[4]- خليفة شاطر وآخرون، المرجع السابق، ص 91.

- **قانون التجنيس[1] 20 ديسمبر 1923م**

لقد صدر هذا القانون لشن حملة ضد السلطات الاستعمارية، وتجل ذلك من خلال ماكتب في الصحافة حول هذا القانون مبينين أن هذا القانون يمس هوية التونسي[2].

وفي **نوفمبر 1924م** سافر الوفد الثالث الى باريس حيث ضم قادة الحزب ومن بينهم الأمين العام أحمد الصافي و الامين العام المساعد صالح فرحات وأحمد توفيق المدني[3] عضو اللجنة التنفيذية والمحامي الطيب جميل ومعهم رسالة وقعت من طرف الآلاف من التونسيين لمساندة هذا البرنامج لدى أعضاء حكومة البرلمان الفرنسية، وذكرت هذه العريضة أهداف تجلت في ايجاد ملخص تعاون وأخوي بين الجالية الفرنسية والسكان التونسيين، وينحصر هدفه في ضمان المساواة بين الفرنسيين والتونسيين وتمكين هؤلاء

[1]- قانون التجنيس: 20 ديسمبر 1923م كان بالمقارنة بأمر 3 أكتوبر 1910م، حيث ييسر التجنس الفرنسي للتونسي فلم تعد معرفة اللغة الفرنسية شرطا إلزاميا ولا الالقاب الجامعية مشروطة للحصول على الجنسية الفرنسية، فيكفي احراز البكالوريا أو ديبلوم نهاية دراسات مدرسة ترشيح المعلمين بتونس أو ديبلوم المدرسة المهنية ايميل لوبي بتونس، إضافة الى انه لم تكن الجنسية الفرنسية متاحة أمام التونسيين المتزوجين من فرنسيات فقط بل أيضا المتزوجين من أجنبيات تابعات لقادة المحاكم الفرنسية بالإيالة. أنظر: علي محجوبي، جذور.....، المصدر السابق، ص 370.

[2]- خليفة شاطر وآخرون، المرجع السابق، ص 92.

[3]- أحمد توفيق المدني: ولد في 16 جوان 1899م من أبوين جزائريين لاجئين بتونس، مؤرخ وكاتب سياسي وأحد أقطاب الحركة الوطنية المغاربية، أحد مؤسسي الحزب الدستوري وبسببه نفته السلطات الاستعمارية الى الجزائر، نشط فيها ضمن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ونشر في صفحات جرائدها الشهاب والبصائر، شغل مناصب وزارية دبلوماسية أثناء الثورة التحريرية المجيدة، بعد الاستقلال أصدر عدة مؤلفات في تاريخ الجزائر وتاريخ الحركة الوطنية بالمغرب العربي نذكر منها تاريخ الجزائر سنة 1931م و حياة كفاح في ثلاث أجزاء الجزائر سنة 1976م، توفي بمنزله بالابيار في العاصمة يوم 18 جوان 1983م. أنظر: صالح الخرفي، عبد العزيز الثعالبي من آثاره وأخباره في المشرق والمغرب، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1995م، ص ص 33- 34.

من المشاركة في إدارة شؤون بلادهم. لكن هذا الوفد فشل في تحقيق المصالحة بينه وبين الحكومة الفرنسية، وهو ما أدى الى تراجع الحزب الدستوري، ووجد قادته أنفسهم أمام خيارين الأول هو دفع الحزب الى مساق ثوري أما الثاني تهدئة الاندفاع الشعبي وكبح جماحه، لكن القيادة اختارت طريق الاعتدال وفاءا لمشروعها الاصلاحي[1].

وفي هذه الأثناء غادر عبد العزيز الثعالبي نحو المشرق رافعا لواء الجهاد التونسي ضد الاستعمار الفرنسي بين الشعوب العربية والاسلامية، واصيبت الحركة الوطنية بالخمول على إثر وفاة جلالة الملك محمد الناصر الذي كان يشملها برعايته وتأييده ولم يستطع الحزب مقاومة هذا الاضطهاد العنيف، اذ كانت حركته لا تزال فتية ولم تتوغل في كافة طبقات المجتمع التونسي، ولم يمر عليها زمن طويل يمكنها من نشر الوعي القومي في الشعب بصورة تجعلها تستطيع تحمل كفاح طويل وتضحيات جسيمة[2]. وفي ظل هذا الخمول الذي اسفر عنه الاضطهاد افلتت زمام الامور وقيادة الشعب من ايدي الجماعة الذين كانوا على رأس الحزب، وتقلد جماعة من الشباب المثقفين الذين عادوا من فرنسا فظهروا في الميدان الوطني بحركة جديدة في أساليبها واتجاهاتها[3].

2- الأوضاع الإقتصادية

بعد السنوات العسيرة التي مرت بها البلاد التونسية وما خلفته الحرب العالمية الأولى من رداءة المحاصيل وكساد المنتوجات الصناعية التقليدية والتجارة الصغرى وقلة

[1]- علي محجوبي، جذور....، المصدر السابق، ص 402.

[2]- الحبيب ثامر، هذه تونس،ط1، تحقيق: الرشيد غدريس و تر: حمدي ساحلي، دار الغرب الاسلامي، لبنان، 1988م، ص 89.

[3]- أحمد اسماعيل ياغي، العالم العربي في التاريخ الحديث، ط1، مكتبة العبيكة، الرياض، 1997م، ص 364.

التشغيل وغلاء المعيشة، ومع بداية سنة **1926م** تحسن الوضع الاقتصادي والاجتماعي للسكان التونسيين، فقد شهدت البلاد التونسية حتى سنة **1929م** وباستثناء سنة **1927م** سلسلة من المحاصيل الجيدة عكس ماشهدته خلال فترة البقرات العجاف التي تلت الحرب العالمية الأولى[1].

أ- الزراعة

استمرت فرنسا في السياسة الاستيطانية بعد احتلالها لتونس وذلك من خلال استغلال ثروات البلاد الزراعية كانت أو معدنية، وهذا كله في خدمة الاحتكار الاجنبي حيث كانت فرنسا تملك أربع شركات احتكارية عامة في تونس منها **23**[2]**%**. ونتيجة لذلك أصبح هناك عشرات الآلاف من العمال التونسيين الزراعيين الذين انتزعت أرضهم يدا عاملة في المزارع والمناجم التي سيطر عليها المستوطنين. ففي سنة **1921م** كان عدد العمال في تونس حوالي **294** ألف عامل معظمهم يعمل في القطاع الفلاحي، حيث اعتمدت مزارع المستوطنين أساسا على اليد العاملة في المحلية لأنها متوفرة ورخيصة وأيضا بالإمكان الاستغناء عنها في الوقت المناسب، حيث كان معظم العمال من أصل ريفي وذلك أمر طبيعي، لأن أغلبية السكان كانوا يعيشون على الفلاحة[3].

ولقد استمرت عمليات الاغتصاب في الثلث الأول من القرن العشرين الشيء الذي ضاعف من ملكيات الأوروبيين فقد كان كل مزارع أوروبي يمتلك **250** هكتار، بينما تملك كل أسرة تونسية ستة هكتارات فقط[4].

[1]- علي محجوبي، جذور.....، المصدر السابق، ص 475.

[2]- عبد المالك خلف التميمي، الاستيطان الاجنبي في الوطن العربي دراسة تاريخية مقارنة، عالم المعرفة، الكويت، 1983م، ص 39.

[3]- عبد المالك خلف التميمي، المرجع السابق، ص 40.

[4]- عبد القادر خليفي، المرجع السابق، ص 16.

وتواصل الاستيلاء على الأراضي وهذا من خلال ضم الأحباس، وأيضا تزايد المنتجات المصنعة وتضرر أرباب الصناعات وصغار التجار المحليين، وسن قانون الثلث الاستعماري واستياء الموظفين التونسيين حيث ساهم هذا القانون في ترفيع أجور الموظفين الفرنسيين فقط، وهو ما أدى إلى تعميق الفوارق مع نظرائهم التونسيين[1]. هذا دون اغفال استعمال الوسائل المتطورة من طرف المزارعين الأوربيين وفقدانها عند الأهالي مما أفرز انتاج متباين فمردود الهكتار الواحد من الأراضي لدى الأوربيين يعطي **11** قنطارا بينما لا يزيد ما ينتجه الفلاح التونسي عن **3** قناطير من الحبوب، في الوقت الذي كانت اليد الإنتاجية العاملة في هذا القطاع تشكل ما نسبته **72%** من التونسيين وهو ما دفع الكثير منهم الى أن يشتغلوا عبيدا عند الأوربيين بأجور بخسة للغاية فالمملكة آنذاك أضحت أرض مليون ونصف المليون من الخماسين[2].

وعلى اثر الأزمة العابرة التي حدثت أعقاب الحرب العالمية الأولى وبعد سنة **1920م** شهدت الزراعة الأوروبية بتونس تقدما لا مثيل له، فقد اتجهت اكثر من أي وقت مضى نحو الزراعات المقامة على المضاربة والرامية الى التصدير خارجا وبالخصوص الى فرنسا، ولقد كانت الزيادة في المحاصيل وتحسين الانواع المزروعة الشغل الشاغل للمعمرين الحريصين على تعويض التمويلات باهظة التكاليف الانتاجية فلقد كانت مرتفعة جدا، وقد كانت مداخيل المعمرين الزراعية متأتية من ثلاث منتوجات هي القمح والزيت والخمور ثم تأتي زراعة الثمار في مرتية متأخرة جدا[3]، وقد سجل منتوج الحبوب خلال الفترة **1920م- 1925م** نموا هاما فالمعدل السنوي لإنتاج القمح الذي كان **2.026.916**

[1]- خليفة شاطر وآخرون، المرجع السابق، ص ص 84- 85.

[2]- عبد القادر خليفي، المرجع السابق، ص 16.

[3]- أحمد القصاب، تاريخ تونس المعاصر (1881م- 1956م)،ط1، تع: حمادي الساحلي، الشكة التونسية للتوزيع، تونس، 1986م، ص 131.

قنطارا خلال هذه الفترة ارتفع رغم رداءة محصول سنة **1927م** إلى **3.207.500** قنطارا خلال سنوات **1926م- 1929م**، وارتفع معدل الشعير خلال نفس الفترات من **1.336.650** قنطارا الى **2.003.750** قنطار، وكذلك كان شأن زيت الزيتون فقد ارتفع من **293.300** قنطار الى **415** ألف قنطارا.

وحسب الاحصاءات الرسمية فقد اقتنى المعمرون بالبلاد التونسية من سنة **1919م** الى سنة **1929م** حوالي **145.738.49** هكتارا من الاراضي الزراعية و **78.105** هكتار من الاراضي الغراسة أي في الجملة حوالي **224** ألف هكتار موزعة على **1236** مقسم[1]، وتوزع الاراضي التي ازيل اختصاصها والحقت بادارة الفلاحة والاستعمار ما يلي:

- من سنة **1911م** الى سنة **1925م ـــ 5.803** هكتار.
- سنة **1926م ـــ 15** ألف هكتار.
- سنة **1927م ـــ 45.300** هكتار.
- سنة **1928م ـــ 1.580** هكتار.

وخلال هذه الفترة ارتفعت المساحات المبذورة قمحا من قبل المعمرين الأوروبيين ما بين **70** و **80** ألف هكتار الى أكثر من **150** ألف هكتار[2]. أما فيما يخص اولئك الذين كانوا يشغلون تلك الأراضي وحرموا منها وعددهم عشرات الآلاف فكان نصيبهم التشرد[3].

والملاحظة ان الزراعة الاساسية في تلك الفترة هي زراعة القمح اللين والصلب، وقد مكن استعمال الآلات الصناعية في المزارع من التوسع في مساحات الاراضي المزروعة وخاصة في المناطق الخصبة، حيث نجد أن "**بوف**" قد عمل على جلب نوع جديد من القمح اللين

[1]- علي محجوبي، جذور.....، المصدر السابق، ص 476.

[2]- نفسه، ص 477.

[3]- يونس درموني، تونس بين الحماية والاحتلال، مكتب تونس الحرة، تونس، دت، ص 71.

فلوراتس-أورو الذي وجد رواجا كبيرا في الأسواق الفرنسية لما له من قيمة رفيعة في ميدان الخبازة، وقد خصصت له أخصب الأراضي وطبقت عليه أرقى أساليب الزراعة العصرية، وقد أصبحت تلك الزراعة باهظة التكاليف ذلك أن الآلات الميكانيكية ووسائل النقل و الأسمدة الكيميائية والمواد المضادة للفطريات والتأمين ضد جميع أنواع الآفات كل ذلك يقتضي توفير إمكانية مالية ضخمة وفي ازدياد مستمر[1].

أما عن تربية المواشي فقد صح عليه كما صح عن الزراعة فقد استفاد هذا القطاع خلال نفس تلك الفترة من كمية الأمطار الكبيرة التي هطلت والتي ساعدت على نمو الكلأ والنباتات العلفية في المراعي وبالتالي ساعدت على تنمية الماشية في كامل القطر[2]، وكان محصول العلف الطبيعي وافرا في الشمال وكذلك في المراعي وسط وجنوب البلاد، ويضاف الى كل هذا المحصول الجيد من الخرطال حيث كانت الامطار الدائمة الهطول خلال شتاء سنتي **1927م- 1928م** سببا في غلته الوافرة، كل هذه الظروف من شأنها أن تؤدي الى تنمية الماشية في البلاد التونسية ومن قم الزيادة في إنتاج اللبن والصوف والجلود. وقد بلغ عدد الغنم سنة **1924م** حوالي **1.378.840** رأس وارتفع الى **2.460.740** رأس سنة **1927م**، وعدد الماعز بلغ **797.970** رأس ثم ارتفع الى **1.664.926** رأس خلال نفس الفترة، وبذلك قد تضاعف عدد هذين النوعين من الماشية فيما بينهما خلال هذه السنوات، وبالضرورة كل هذا الازدهار الذي حدث في قطاع الزراعة سينعكس على القطاعات الاقتصادية الأخرى مثل الصناعة والتجارة[3].

[1]- أحمد القصاب، المرجع السابق، ص 132.

[2]- علي محجوبي، جذور.....، المصدر السابق، ص 478.

[3]- نفسه، ص 480.

ب- الصناعة

ان النشاط الصناعي للتونسيين كان يقتصر على الصناعات التقليدية والتي لا أهمية لدورها في مجموع النشاط الاقتصادي، ويشير الطاهر حداد[1] إلى طغيان مواد مصنعة حديثا في أوروبا او في المعامل الأجنبية في تونس حتى أنها أثرت تأثيرا قويا في كساد الصناعة المحلية[2].

وهنا يذكر الطاهر عبدالله: « ان الصناعة في البلاد التونسية بعد أن عرفت بعض فروعها ازدهارا كبيرا في حالة التحضر»، كما ذكر شارل اندريه جوليان في كتابه: «المعمرون الفرنسيون وحركة الشبان التونسي ان الاقامة العامة لم تعط اية عناية لحماية الصناعات التقليدية من مزاحمة المنتجات الصناعية المستوردة و أن الاستعمار الرسمي أدى الى اقصاء عدد كبير من صغار الملاك وجعلهم أجراء وأن الوجود الفرنسي في تونس أطاح بالهياكل التقليدية الاقتصادية، وأن ظروف عمل الاهالي كانت تقود حتما إلى الموت السريع وهذه الوضعية المزرية أثارت التونسيين عموما والفئة المثقفة بوجه خاص»[3].

لقد كانت الصناعة التقليدية التونسية والتي تمثلت في صناعة الشاشية وحياكة الصوف والحرير والقطن وصناعة الزربية وتحويل الجلد تستفيد أولا من الوفرة النسبية للمواد الاولية الناتجة عن نمو تربية المواشي، كما استفادت من تحسين الطاقة الشرائية لسكان الريف الذين يشكلون الصنوف الاساسية للمنتوجات الصناعية، وقد

[1]- الطاهر حداد: ولد بالعاصمة تونس على الأرجح سنة 1899م، تلقى تعليمه الأول في الكتاب حيث حفظ القرآن الكريم ثم واصل تعليمه في الزيتونة، له عدة مؤلفات منها:امراتنا في الشريعة والمجتمع.انظر: أحمد خالد، أضواء من البيئة التونسية على الطاهر حداد ونضال الجبل،ط3، الدار التونسية للنشر، تونس، د ت، ص ص 3- 4.

[2]- عبد القادر خليفي، المرجع السابق، ص ص 16- 17.

[3]- مؤلف مجهول، اتحاد المغرب العربي الوحدة التاريخية والجغرافية، منتدى سور الازكية، الامارات، 2001م، ص 66.

استفادت الصناعة المحلية من هذا الوضع خاصة وان المنافسة الاجنبية لم تكن آنذاك في بال الأوساط الريفية، فبالنسة الى صناعة الشاشية التي تشكل اهم قطاع صرفي بالإيالة سجلت وارداتها انخفاضا هاما ابتداءا من سنة **1926م** بالذات وأما صادراتها فبقيت في مستوى مرتفع نسبيا، ولقد بلغ معدل الورادات السنوي خلال الفترة الممتدة من **1924م- 1926م** حوالي **30.192** قطعة تراجعت الى الى **5.519** قطعة ما بين سنوات **1927م- 1933م**. وقد أفاد هذا الوضع بصفة خاصة الاقمشة الحريرية التي حققت مبيعات كبرى بفرنسا منذ سنة **1927م**، وهكذا ارتفع مؤشر تصدير هذا المنتوج من **68** الى **221** قطعة[1].

كما كان حجم صادرات الاقمشة القطنية المصدرة بالنسبة الى الكميات المستوردة زهيدة جدا، ففي سنة **1920م** تم تصدير **131.904** كلم من الاقمشة القطنية بقيمة **967.910** فرنك، ولكن في نفس السنة بلغت كميات الاقمشة البريطانية المستوردة **1.683.661** بما قيمته **19.203.260** فرنك[2].

وبصفة عامة شهدت الصناعة التونسية في السنوات ما بين **1926م- 1929م** على غرار الفلاحة وتربية الماشية بعض النمو الاقتصادي استفادة منه بالخصوص صناعة الحرير والشاشية، وجراء هذا ارتفع عدد معامل الشاشية الى **200** خلال السنوات **1930م- 1933م** بعد أن كان يقدر عددها بمئة سنة **1900م**، وكانت عودة الازدهار الى هذه الصناعة الوطنية العتيقة ناتجا بالخصوص عن الزيادة المسجلة في الفترة الممتدة من **1926م- 1929م** في رواج الشاشية سواءا في السوق داخليا أو خارجيا[3]. وبعد إحداث ديوان التعليم المهني خلال شهر مارس **1923م** أنشئت عدة مراكز للصناعات التقليدية

[1]- علي محجوبي،جذور.....، المصدر السابق، ص 481.

[2]- أحمد القصاب، المرجع السابق، ص 198.

[3]- علي محجوبي، جذور.....، المصدر السابق، ص ص 483- 484.

مجهزة بشتى آلات النسيج أو الدهن، وقد حاول ديوان الفنون التونسية تحسين النماذج ذات الصيغة الفنية وذلك بتكوين الذوق الفني لدى الحرفيين وحثهم على العمل وكانت النتئج مرضية في بعض القطاعات كالزخرف الفني والطرازة والنقش على الزرابي، وأخذت علامات دولية لمراقبة جودة مختلف المنتوجات فأحدثت علامات الزرابي سنة **1921م**، ومنذ سنة **1934م** أصبحت جميع المنتوجات التونسية المعدة للتصدير خاضعة لحمل عبارة البلاد التونسية[1].

أما الثروة المعدنية فقد سلمتها السلطة الفرنسية الى شركات احتكار فرنسية مقابل ايجار سنوي زهيد، وأهم المعادن التي تستخرج من أرض تونس هي فسفات الجير، ويوجد فيها أيضا مناجم للحديد والزنك والمغنيزيوم والنحاس....الخ، وكانت كل هذه المناجم بيد الاجنبي ولا تعود بفائدة كبيرة على تونس[2].

ج- التجارة

بعد انتهاء الحرب العالمية الاولى طالب المعمرون بتحقيق وحدة جمركية أوسع بين تونس وفرنسا، وبناءا على ذلك فقد أقر القانون الفرنسي المؤرخ في **30 مارس 1928م** وحدة جمركية جزئية تقتضي الإعفاء المتبادل من الرسوم وتوظيف نفس المعلوم الجمركي على البضائع الاجنبية، حيث ينص للحكومة بمقتضى مرسوم أن تقبل دون دفع رسوم جمركية البضائع التي هي من أصل ومصدر تونسي من غير البضائع المشار إليها في الفصل الأول من هذا القانون، إلا أن تطبيق هذا الإجراء يتوقف على شرط وهو أن تتمتع البضائع الفرنسية المماثلة بنفس النظام عند دخولها الى تونس وأن تخضع

[1]- أحمد القصاب، المرجع السابق، ص ص 212- 213.

[2]- لحبيب ثامر، المصدر السابق، ص 50.

البضائع الاجنبية المماثلة لنفس المعلوم الجمركي والموظف عليها عند الدخول الى فرنسا[1]. هذا النظام المفروض على تونس يفقدها كذلك حرية تقرير الرسوم الجمركية لصالحها حتى بالنسبة للبضائع الواردة من فرنسا، وبالتالي فهي مجبورة على أن ترفض على هذه البضائع الرسوم المفروضة عليها عند دخولها فرنسا نفسها، ولم تكلف فرنسا بهذا بل رفعت الرسوم الجمركية على البضائع الاجنبية حتى تحتكر لنفسها أسواق داخلية في تونس. وبهذه الصورة تم تحريم تونس من شراء بضائع أجنبية هي أرخس ثمنا من البضائع الفرنسية التي تمثلها، وهكذا أصبحت تونس من أعظم الأسواق التي تروج فيها البضائع الفرنسية رغم ارتفاع اسعارها، وكان من نتيجة هذه السياسة الجمركية أن اختل توازن الميزان الحسابي للبلاد التونسية وأصبح في عجز يزداد سنة بعد سنة وذلك منذ نهاية الحرب العالمية الأولى[2].

وقد ظهر هذا العجز جليا في اتساع نظام الاتحاد الجمركي وصار يتناول عدد كبير من أنواع البضاعات، وكانت الوحدة الجمركية مع فرنسا لا تهم إلا **250** بضاعة من مجموع **8000** سلعة التي تشمل عليها قائمة الجمارك الفرنسية، ولكن قائمة البضائع التونسية المتمتعة بنظام الوحدة تمكن تمديدها حسب رغبة الحكومة الفرنسية التي تستطيع قبول أي منتوج تونسي دون أن يدفع المعالم الجمركية، غير أن قانون الجمركية سنة **1928م** لم يستقر عن ارتفاع كبير لحجم الصادرات التونسية المتجهة الى فرنسا[3].

[1]- أحمد القصاب، المرجع السابق، ص 249.

[2]- الحبيب ثامر، المصدر السابق، ص 53.

[3]- أحمد القصاب، المرجع السابق، ص ص 249- 250.

ولا شك أن صغار الفلاحين ومربي المواشي لم يستطيعوا خلال هذه الفترة تسويق ما توفر لديهم من فائض في الانتاج بأسعار القمح الصلب والشعير وزيت الزيتون والصوف التي كانت تمثل العناصر الأساسية من الإنتاج التونسي كانت في إنخفاض مستمر[1].

أما السنة الوحيدة التي سجلت ارتفاع أسعار الحبوب كانت سنة **1927م**، أما في سنتي **1926م** و **1929م** فقد ازداد إنتاج القمح في الدول الأوروبية وأدى ذلك الى منافسة مهولة في السوق العالمية وبالتالي انخفاض الاسعار خلال هاتين السنتين والتي لم تؤثر على أغلبية صغار الفلاحين التونسيين الذين كانوا ينتجون أساسا للاستهلاك الذاتي، وفعلا باستثناء الأقلية من كبار الملاكين الذين كانوا مثل المعمرين يتوفر لديهم فائض من المنتوجات للبيع فإن عامة صغار الفلاحين الذين لم يكن لديهم فائض هام من الإنتاج لم يتأثروا إلا قليلا بتدهور أسعار المنتوجات الفلاحية[2].

أما من الناحية الداخلية فقد أدى نمو الصناعة التقليدية والفلاحة إلى إتساع في التجارة الصغرى التي استفادت خلال فترة ما بين **1926م- 1929م** من تحسين الطاقة الشرائية لسكان الريف والمدن، فحققت زيادة في المبيعات وعمت أرباحا هاما وبصفة عامة فقد استفادت من توسع السوق الداخلية[3].

[1]- علي محجوبي، جذور.....، المصدر السابق، ص 486.

[2]- نفسه ، ص 488.

[3]- نفسه، ص 489.

3- الأوضاع الاجتماعية والثقافية

أ- الأوضاع الاجتماعية

شهد عدد السكان خلال هذه الفترة تزايدا واضحا إذ إرتفع عدد السكان المسلمين من **1.864.908** ساكن سنة **1926م** الى **2.086.762** ساكن خلال سنة **1931م**، وقد كانت الزيادة الحاصلة **221.848** ساكن مرتفعة جدا بالقياس على ما سجلته بين سنوات **1921م- 1926م** والتي تمثلت بزيادة قدرها **38.363** ساكن فقط[1]. وكان هذا الارتفاع قد نتج عن عدة عوامل كانخفاض الوفيات وزوال الأوبئة الكبرى كالتيفوس والكوليرا وحمى المستنقعات والجذري والطاعون وغيرها، إضافة الى الحروب الداخلية وتناقص المجاعات والتحسن النسبي للحالة الصحية للسكان وحملات التلقيح بالمدن وخاصة بالمدارس وإنشاء الأدوية وارتفاع عدد الأطباء[2].

ولقد أنشأ الأوروبيين مستشفى كبير في العاصمة هو مستشفى شارل نيكول مجهز بأحدث الأجهزة وبه **713** سرير بينما لا يملك العرب إلا **295** سرير بمستشفى الصادقي و **322** سرير بمستشفى الرابطة الخاص بالأمراض المعدية. كما يوجد بالعاصمة مستشفى الأمراض العقلية وهو مستشفى منوبة يأوي العرب والأوروبيين في آن واحد، أما في بقية القطر التونسي فلا يوجد الا مستشفى سوسة ومستشفى بصفاقس، ويوجد كذلك **27** مستشفى للعلاج البسيط موزعة على كافة أنحاء القطر وكل هذه المستشفيات يشتركوا فيها العرب والأوروبيين على حد سواء[3].

[1]- علي محجوبي، جذور.....، المصدر السابق، ص 491.

[2]- أحمد القصاب، المرجع السابق، ص 267.

[3]- لحبيب ثامر، المصدر السابق، ص ص 62- 63.

إلا أنه ينبغي التنبيه الى أن تحسن الظروف المعيشية لمختلف طبقات الاهالي التونسيين خلال هذه الفترة لم يكن نسبيا وان الكثير من التونسيين لا يزالون رغم المحاصيل الجيدة يعانون الفاقة، حيث رسم النقابي الطاهر حداد في مؤلفيه "العمال التونسيين وظهور حركة النقابية"و"امراتنا في الشريعة والمجتمع" الصادير على التوالي في 1927م- 1929م صورة مؤهلة للحياة الاجتماعية السائدة آنذاك بالبلاد التونسية[1]. حيث قال: « ما أخطر وأتعس الحياة التي نقطعها اليوم.... فلا ترى الا وجوها مصفرة وتعلوها الكآبة الخرساء.... وثياب بالية ومرقعة بكل الألوان، وأكثرهم متسولون » [2] .

وكان المجتمع التونسي مقسم بحكم التقاليد الاجتماعية الى الطبقة الراقية من الاهالي ثم تبعتها الطبقة المتوسطة وحتى البرجوازية الصغرى[3]. ضف الى ذلك ان المجتمع التونسي كان مكون من جماعات وعناصر جنسية مختلفة كاليهود الذين تعاونوا مع المستوطنين الأوروبيين للحفاظ على امتيازاتهم، ولقد كان لهم دور في الاقتصاد التونسي لأن رؤوس الأموال ساهمت في ديون وقروض الفلاحين والحرفيين مقابل أرباح نقدية وعينية[4]. وكذلك الايطاليين المعمرين والسكان المسلمين الاصليين والأوروبيين والفرنسيين والمالطيين وغيرهم[5]. ولعل أبرز القضايا الاجتماعية التي اثارت الجدال والنقاش على صفحات الصحف والمنابر وضعية المرأة خاصة فيما يتعلق بتعليمها وارتدائها الحجاب، حيث يقول عبد العزيز الثعالبي: "لوكان التعليم الاجباري واقعا

[1]- علي محجوبي، جذور....، المصدر السابق، ص 493.

[2]- خليفي عبد القادر، المرجع السابق، ص 34.

[3]- محمد الهادي شريف، ما يجب أن تعرف عن تونس من عصور ماقبل التاريخ الى غاية الاستقلال،ط3، تع: محمد الشاوش ومحمد عجينة، دار سراس للنشر، تونس، د ت، ص 108.

[4]- عبد المالك خلف التميمي، المرجع السابق، ص 42.

[5]- حسن محمد جوهر، تونس، دار المعاصرة، القاهرة، مصر، 1961م، ص 55.

مكتسبا لأدركت المرأة رقعة حقوقها ولعرفت أنه لا يوجد نص يرفض عليها ستر وجهها أو نفرض عليها التجنس في منزل كما تحبس في سجن. وأنها لها حق مراقبة مصالحها ومصالح أبنائها والتفكير في مستقبلهم ومراقبة تعليمهم وتربيتهم، وأن لها حق في مكانتها في البيت وفي الوجود وفي الحياة على قدم المساواة مع الرجل، وبذلك كم سيعرف المجتمع الاسلامي من التحولات.

وقد تواصل الجدال بين التونسيين في قضية الحجاب فقد نظم فرع الحزب الاشتراكي الفرنسي بتونس عام **1924م** ندوة حول قضية المرأة، و أثنائها أخذت الكلمة سيدة تونسية مسلمة كانت مسافرة منوبية الورتاني التي طالبت بتمكين المرأة المسلمة من التمتع بجميع حقوقها ونادت بضرورة رفع الحجاب وضرورة ترقية مستواها العلمي والفكري، وقد دعا الثعالبي الى ضرورة خلع الحجاب لأنه يرفض على المرأة وأن خلعه يعني تحرير المرأة المسلمة[1].

ب- الاوضاع الثقافية

في ميدان التعليم فقد تضائل الى حد كبير جدا، فقد عملت السلطات الاستعمارية على محو الروح القومية وذلك بمحاربة اللغة العربية والاستعاضة عنها باللغة الفرنسية وتطبيق برامج خاصة كفتح مدارس استعمارية لذلك، ولم يرض العرب بهذه المدارس وصاروا يهاجمون سياسة فرنسا التعليمية في تونس إلى أن أجبروا السلطة الفرنسية على إدخال اللغة العربية في برامج المدارس الابتدائية الخاصة بالعرب[2].

[1]- امحمد يزير، المرجع السابق، ص ص 111- 112.

[2]- الحبيب ثامر، المصدر السابق، ص 56.

وهناك بعض الاحصائيات التي تبين عدد التلاميذ في المدارس الفرنسية الابتدائية، ففي سنة **1920م** بلغ عددهم **10.700** تلميذ **1.900** تلميذة من أصل مجموع قدور بـ **44** ألف تلميذ، ولكن بعد سنة **1920م** أصبح المجهول المبذول في هذا الميدان أهم مما كان عليه من قبل، حيث ارتفع عدد التلاميذ التونسيين وقدر بـ **35** ألف في سنة **1930م**[1].

وفي سنة **1919م** كان عدد الابتدائيات في تونس **29** منها الخاصة بالتونسيين المسلمين، وكان عندما يثقل كاهل الحكومة من مصاريفها تقوم بغلق المدارس الخاصة بتعليم الاهالي وتفتح المدارس المتخصصة لأبناء المعمرين وتخصص لهم البعثات المدرسية، أما عن التعليم الثانوي فقد كان هناك معاهد فرنسية يطلق عليها إسم (**lycée**) مثل ليسي كارنو وكان التعليم فيها فرنسي تماما أو توجد بعض الحصص القليلة باللغة العربية[2]. وفي سنة **1923م** أي تقريبا بعد نصف قرن من فرض الحماية لم يتعد عدد المدارس الحرة **12** مدرسة وكان عدد التلاميذ فيها **2646** تلميذ واستطاع الشعب تضليل مختلف المقبات التي استمرت تضمها السلطة الاستعمارية، ولقد بلغ عدد هذه المدارس في الوقت الراهن **46** مدرسة بها **14261** تلميذ وتسمى هذه المدارس بالمدارس القرآنية الأهلية ويتلقى فيها التلاميذ ثقافة قومية وعصرية تؤهلهم لإحراز الشهادة الإبتدائية الحكومية أو شهادة الأهلية بجامع الزيتونة[3].

[1]- محمد الخضر حسن، تونس وجامع الزيتونة (الفقه، الشعر، الزيتونة، ابن خلدون تراجم)، تح: علي الرضا التونسي، المطبعة التعاونية، سوريا، 1971م، ص 141.

[2]- سعدية مراد، الحركة الطلابية المغاربية ودورها في الكفاح الوطني (1900م- 1950م الجزائر وتونس) دراسة مقارنة، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ، جامعة الوادي، الجزائر، 2013م-2014م، ص 16.

[3]- الحبيب ثامر، المصدر السابق، ص 56.

ولم يتعد عدد التلاميذ الناجحين بالشعبة الثانوية في مناظرة مشددة للغاية المئة في سنة **1920م**، ولقد كانت برامج السنوات الدراسية المختلفة تشمل دروس وتمارين في اللغة العربية والفرنسية إضافة الى الترجمة (النقل والتعريب) والتاريخ والجغرافيا والرياضيات والفيزياء والعلوم الطبيعية والبلاغة والقانون الاسلامي، كما كانت تشمل على دروس في العلوم الادارية والتشريع التونسي، إضافة الى اللغة الإنجليزية بعد الحرب العالمية الأولى[1].

ومن أشهر المعاقل للتعليم بتونس جامع الزيتونة[2]، مدرسة الصادقية[3] والمدرسة الخلدونية[4]، وقد كان جامع الزيتونة وجامعته الحصن الحصين للثقافة العربية وللروح الاسلامية ومعقلا للحركة الوطنية التونسية، وقد عجز الفرنسيون في البداية على التدخل في شؤونه بل كانت جماعة الزيتونة الأولى من أشد الأعداء لفرنسا، وهم الذين حملوا شعلة التحرير الوطني لهذا عملت فرنسا على تضييق دائرة التعليم ما استطاعت حيث أن الشيخ خضر حسين يذكر بأن مطلع القرن العشرين في المملكة كلية للطب أو

[1]- أحمد القصاب، المرجع السابق، ص 304.

[2]- جامع الزيتونة: أسس الجامع سنة 141هـ من ثم بدأ يأخذ مجده العلمي ومن حين لآخر يبرز فيه رجال يشتهر بعلمهم، ولقد اختلف المؤرخون في تاريخ تأسيسه وفي أمر تشييده فلقد نسب الكثير منهم تأسيسه الى عبد الله الحبحاب وذهب آخرون الى حسان بن نعمان الغساني، لكن جل الدراسات ترجع بنائه الى ابن الحبحاب ومزال هذا الاختلاف الى اليوم نظرا لعدم العثور على سيء تكون حجة قاطعة لذلك، ومن روايات اصل تسميته أن الجامع بني في مكان مليئ بشجر الزيتون حيث قطعت كلها وبقيت زيتونة واحدة وسط ساحة الجامع فسمي بها.أنظر: خيرالدين شترة،المرجع السابق، ص ص 687- 691.

[3]- المدرسة الصادقية: أنشأها خير الدين باشا سنة 1876م على عهد الصادق باشا وكانت تدرس بها لغات عديدة وتباشر التعليم الابتدائي ثم العالي ومن خصائصها أن تعود تلاميذتها و تأويهم ليلا. أنظر: عبد القادر خليفي، المرجع السايق، ص 25.

[4]- المدرسة الخلدونية: تأسست في عهد المقيم الفرنسي ربيني مبلي (1894م- 1900م)، اسسها البشير صفر برفقة الشيوخ سالم بوحاجب وعمر الشيخ واحمد كريم ولقد أقيم حفلها التأسيسي في 15 مارس 1897م وينقسم التعليم بها الى ثلاث اقسام ابتدائي، ثانوي وعالي. أنظر: عبد القادر خليفي، المرجع السابق، ص 25.

الهندسة أو الكيمياء... ولا يعرف التونسيين علم من هاته العلوم إلا الذين يرحلون الى أوروبا ويحوزون على الشهادات العليا من إحدى جامعاتها، ومن العجب أن تكون المدارس القرآنية الأهلية تابعة لوزير المعارف وهو فرنسي[1]. وجامع الزيتونة هو ثاني الجوامع التي رفعت بإفريقيا لإعلاء كلمة الله بعد جامع عقبة بن نافع بالقيروان[2].

ويقر الشيخ خير الدين بدور تونس الحضاري حيث قال: «لقد عشت في تونس خلال مقامي بها ما بين **1918م- 1925م** إنها فترة خصبة عامرة باليقضة والنهضة، رأيت فيها ما لم أشاهده من قبل في حياتي الاولى في الجزائر. فأثر ذلك في تكويني وهيأني للعمل على نهضة الجزائر.... » ، ويذكرها الشيخ بن عتيق قائلا: «إني اعترف لما لجامع الزيتونة من أثر في انتشار اللغة العربية والثقافة الاسلامية في الجزائر، فدعا الاصلاح في هذا الوطن إنما هو من غرس الجامع الأعظم بتونس... »[3].

ونجد في العديد من المناسبات الشيخ عبد الحميد ابن باديس يعترف بجميل تونس في تكوينه حيث كتب مقالا بعنوان "في تونس العزيزة" جاء في بعضه: « حقا أن لتونس هوى روحيا بقلبي لا يضارعه هوى تلمسان، اعرف ذلك من انشراح في الصدر ونشاط في الفكر وغبطة في القلب لا أجد مثلهما إلا في ربوعهما...» [4].

ولقد ساهمت الجمعيات والنوادي خاصة جمعية الترجي الرياضي التونسي عام **1919م** بدور هام في إثارة الحس الوطني وهو ما جعلها أداة للدعاية الوطنية. كما كان

[1]- خير الدين شترة، المرجع السابق، ص 49.

[2]- خير الدين شترة، الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة (1900م- 1956م)، ج1، دار البصائر، الجزائر، 2012م، ص 688.

[3]- خير الدين شترة، اسهامات.....، المرجع السابق، ص 73.

[4]- نفسه، ص 72.

نشاط طلبة شمل إفريقيا التي تكونت بباريس سنة **1927م** صدى بالبلاد التونسية، وكان هدف هذه الجمعية في البداية تعزيز الروابط وتأطير الطلبة المغاربية الجدد حيث طالبت اللجنة الممثلة لهذه الجمعية من السلطات الاستعمارية إنشاء فرع لها بتونس[1].

إضافة الى ذلك جمعية الشباب التونسي في مارس **1928م** والتي أشرف عليها الحزب الحر الدستوري والتي خصصت فقط للطلبة المسلمين والتي بدأت في الظهور الى الوجود خلال الاجتماع الذي ترأسه محي الدين القليبي[2] والذي دعا فيه الحاضرين الى المساهمة في تأسيس هذه الجمعية وأن يكون لها هدف واحد وهو العمل على إلغاء النظام الاستعماري والمطالبة بالاستقلال. ومن الواضح أن القليبي كان يرى في هذه الجمعية مدرسة لتكوين الشباب وتدريبهم على أساليب الكفاح لخوض المعارك السياسية في المستقبل. وجمعية الطلبة التونسيين التي تأسست في نوفمبر **1925م** وكان هدفها العمل على مساعدة الطلبة التونسيين ماليا لإنهاء تعليمهم واتمام دراستهم وتكوينهم في فرنسا وخارجها[3].

وتعتبر فترة ما بعد الحرب العالمية الاولى الفترة الأكثر ازدهارا في حياة الصحافة التونسية، وكانت عودتها بفضل مساعي عبد العزيز الثعالبي الذي سافر الى فرنسا في جوان **1920م** ونشر كتاب "توني الشهيدة" ومن جملة المطالب التي عرضها عودة حرية التعبير للصحافة. ومنذ شهر أوت **1920م** أصدر الشيخ الثعالبي مجلة الفكر للتعبير

[1]- خليفة شاطر وآخرون، المرجع السابق، ص 94.

[2]- محي الدين القليبي: هو محي الدين بن عبد القادر بن رمضان الشريف شهر القليبي، ولد بتونس العاصمة حوالي عام 1901م، ، مناضل وطني، صحفي وسياسي، ومدير الحزب الحر الدستوري التونسي، توفي بدمشق يوم 1 ديسمبر 1954م.انظر: عبد القادر القليبي، محي الدين القليبي أو جهاد ثلث قرن، مجموعة وثائق انتقاها وأعدها للنشر، ، دار سراس للنشر، تونس، 2004م.

[3]- يوسف مناصرية، الحزب.....، المرجع السابق، ص ص 215- 217.

عن آرائه حول ما يراه من تغيرات ينبغي إدخالها على العقليات والمجتمع التونسي[1]، كما عادت جريدة الزهرة الى الظهور في ربيع **1920م** بعد ترخيص وقفي وشرطي من المقيم العام إيتيان فلاندان وسرعان ما شهدت البلاد التونسية ازدهارا فعليا للصحف، وعلى غرار عودة صحف قديمة الى الظهور مثل المنير، مرشد الأمة، الصواب، المشير وغيرهم فقد تأسست صحف جديدة مثل النديم، لسان الشعب، الوزير والاتحاد سنة **1924م** والجامعة والعصر الجديد وغيرهم من الصحف، ولقد كانت الصحافة الناطقة بالعربية تعد في مجموعها أكثر من عشرين عنوانا سنة **1920م** وأكثر من ثلاثين عنوانا سنة **1921م**[2].

وبالنسبة للصحف الناطقة باللغة الفرنسية كانت جريدة الصوت التونسي والتي أسسها خير الله الشاذلي تعبر عن آراء المعتدل من التونسيين، أما جريدة العمل التونسي التي ظهرت في أول نوفمبر **1932م** فقد كانت لسان حال الشباب الدستوريين الذين يناضلون من أجل تغيير أساليب الحزب الحر الدستوري[3].

وظهرت كذلك مجلات ذات خزان جيد كالفجر، البدر، العمران والمجلة الصادقية هذه الاخيرة التي اتخذت سنة **1926م** نهج الجلد مقرا لها وكان من أبرز أنشطتها تكوين ناد أدبي، من أهم روادها الشاذلي خيرالدين والطاهر صفر الذين كانوا يلقون محاضرات حول مواضيع اجتماعية وسياسية دينية[4].

[1]- أحمد القصاب، المرجع السابق، ص 339.

[2]- علي محجوبي، جذور.....، المصدر السابق، ص 273.

[3]- أحمد القصاب، المرجع السابق، ص 339.

[4]- خليفة شاطر وآخرون، المرجع السابق، ص 93.

كما عرفت تونس في هذه الفترة المسرح ففي سنة **1924م** تأسست فرقة جديدة بإسم السعادة وأصبحت الجمعيات المسرحية تمثل أكثر فأكثر المسرحيات المؤلفة من طرف التونسيين، ولم تعد تقتصر على المسرحيات المترجمة فقد ألف الكاتب محمد الحبيب عدة مسرحيات باللغة العربية مثل: الواثق بالله الحفصي وفتح فارس، أو روايات مستوحاة من الواقع التونسي مثل: مسرحية جيل اليوم المكتوبة باللغة الدارجة[1].

ثانيا: المؤتمر الافخرستي

1- تعريف المؤتمر الافخرستي

يعرف كذلك بالمؤتمر القرباني أو القربان المقدس وهو حركة دينية تخص العبادة المسيحية، ظهرت في القرن التاسع عشر بأوروبا كرد فعل على العلمانية وهجمات الإلحاد، فهو من منظور رجال الدين الكفاح الأفضل ضد معارضي الكنيسة الكاثوليكية، ويهدف المؤتمر حسب البابا ليون الثالث عشر **1878م- 1903م** الى إشراك جميع المسيحيين في هذا القداس، فالمؤتمر القرباني ليس حكرا على رجال الدين واللاهوتيين فقط وذلك من أجل تجديد المسيحية وتحفيز إيمان الكاثوليك من خلال التواصل المتكرر بينهم من أجل تعميق المذهب الافخارستي[2] وتكريم السر المقدس، مع

[1]- أحمد القصاب، المرجع السابق، ص 348.

[2]- الافخارستيا: هي سر من أسرار المدخلة الى الحياة المسيحية، ومعناه "صلاة الشكر" أو " أداء شكر الله" وفيها يقدم النصارى لله الأب التسبيح والشكر عن كل ما وهبهم إياه في الخلق و الاخلاص بذبح ابنه على الصليب من أجل خلاصهم، فالأفخارستيا تعني الخلاص والحياة في عبادة الله وتمجيده.أنظر: محمد بن علي بن محمد آل عمر، الطائفة الكاثوليكية فرقها وعقائدها وأثرها على العالم الاسلامي، مذكرة دكتوراه تحت إشراف محمود محمد مزروعة، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، السعودية، 1428هـ-2007م، ص ص 279- 289.

الأخذ بعين الاعتبار أن يتشكل برنامج المؤتمر دائما من جلسات دراسية ومراسيم طقوسية. ولقد عقد أول مؤتمر افخارستي دولي حسب ما ورد في صحيفة (**la croix**) عام **1881م** بمدينة ليل الصناعية الكبرى الواقعة شمال فرنسا، ومنذ ذلك التاريخ بدأت الدول المسيحية تتنافس لتكريم أسرار المذبح وذلك لمدة خمسين عاما قبل مؤتمر قرطاج[1].

وذكرت جريدة (**L'Afrique du Nord illustrée**) أن هذه المؤتمرات تعقد وفقا لإرادة البابا يعني هو الذي يختار متى وأين ستقام ويتم ذلك عادة كل سنتين وذلك لما تتطلبه هذه التظاهرة من تحضيرات وأعمال تتجاوز **18** شهرا، ولقد أقيمت المؤتمرات الأخيرة لهذا الحدث في كل من أمستردام بهولندا سنة **1924م**، شيكاغو بالو م أ في **1926م** وفي سيدني بأستراليا عام **1928م**[2]. ولقد جمعت هذ المؤتمرات في كل مرة تحشدات كبيرة من جميع أنحاء العالم، وكانت لا تقام فقط في البلدان الكاثوليكية كروما بإيطاليا وفيينا بالنمسا و مدريد بإسبانيا بل أقيمت كذلك حتى في البلدان البروتستانتية كلندن بإنجلترا وشيكاغو وسيدني السالفتي الذكر، وكانت كل الحكومات تبذل مجهودات كبيرة لإنجاح هذه المؤتمرات والترحيب بالممثلين الكاثوليك كما جاء في (**Bulletin Mensuel de L'office du Protectorat Français en Tunisie**)[3].

[1]- la croix, jeudi 8 mai 1930, année 31, n 14475, « le congrés de carthage s'est ouvert mercredi après-midi », p1.
[2]- l'afrique du nord illustrée, 31 mai 1930, n 474, année 25 ; « le xxx congrès eucharistiques internationale de carthage », p 6.
[3]- Bulletin Mensuel de L'office du Protectorat Français en Tunisie, février 1930, année 23, n 225, « le congrès eucharistiques de carthage », p 23.

2- انعقاد المؤتمر

وقع تنظيم هذا المؤتمرمن **7ماي إلى 11 ماي 1930م**[1] وتم أثناءه استعراض آلاف الاطفال مرتدين موشاة الصلبان والتي تذكر بالحملة الصليبية الثامنة التي قادها لويس التاسع لاحتلال تونس سنة **1270م** وهو إستفزاز للمشاعر الإسلامية للتونسيين ونظروا الى هذا المؤتمر على أنه الحملة التي نجحت خاصة وأنه كان يجري الحديث حول تجريد البلاد من صيغتها الاسلامية وتعهد الكنيسة المنتصرة بجلب الشعوب التي بقيت "ضالة" الى ذلك التاريخ حضيرتها وذلك بفضل ما لديها من وسائل إقناع عديدة، وقد ظهرت صبغة التبشرية للمؤتمر منذ البداية عندما رجال الدين يوزعون المنشورات باللغة العربية لدعوة المسلمين إلى إعتناق المسيحية[2]. ولقد أراد الاحتلال الفرنسي ورجال الدين النصارى لمؤتمرهم أن يقنعوا الشعب العربي في تونس بأن الاحتلال هو عمل طبيعي بل عودة الأمور الى طبيعتها وعلى حد زعمهم قد أتى الفرنسيون لتخليص الأرض التونسية من الوجود العربي الذي أتى غازيا لتلك الأرض الرومانية واستفاضوا في شرح تلك الدعوة وفي الحديث عن مزايا الاحتلال وحضوره الذي يريد العودة بالتونسيين الى أصله المسيحي الروماني وأن العرب غزاة محتلين[3]. وسبب انعقاد هذا المؤتمر هو مرور نصف قرن على الاحتلال الفرنسي لتونس[4]، بالإضافة الى أنه انعكاس هو والظهير البربري

[1]- أنظر الملحق رقم (7).

[2]- محمد السعيد عقيب، المؤتمر الافخارستي بقرطاج ماي 1830م وتطور العمل الوطني بتونس، مجلة البحوث والدراسات، ع22، السنة 13، 2016م، ص 292 .

[3]- عواد إبراهيم خضر العبيدي وحسن علي خضر العبيدي، "الخلافات الايدلوجية الفكرية في الحركة الوطنية التونسية"، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، مج 23،ع 4، (العراق)، ص 10.

[4]- غنية شليغم، ميلاد الظاهرة الحزبية في المغرب، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، 27 ديسمبر 2016م، ص 20.

بالمغرب الاقصى للذكرى المئوية لاحتلال الجزائر **1830**م هذه الاحداث التي تتابعت خلال مدة قصيرة خلال سنة **1930**م، لذلك اعتبر التونسيين هذا المؤتمر تحديا لمشاعرهم الإسلامية الخاصة[1].

وقد كان إنعقاد المؤتمر إعتداءا صريح على المشاعر الدينية لتونسيين فوقف الشعب بمواجهته منددين به وقام شيوخ الاسلام وعلماء الزيتونة ورجال الحركة الوطنية بحملة شعواء على هذه المزاعم[2]، وقد ضمت القائمة الشرفية للمؤتمر وجوها تونسية بارزة تتقلد وظائف دينية وسياسية من أمثال شيخ الاسلام محمد بيرم والمفتي المالكي بن عاشور والوزير الأكبر خليل بوحاجب والوزير الأسبق الطيب الحليوي بالإضافة إلى محمد شنيق ومحمد بن رمضان وعمر اليكوش أعضاء القسم التونسي في المجلس الكبير والشاذلي العقبي شيخ مدينة تونس وانعقد تحت رئاسة شرفية للباي[3]، وكان انعقاد المؤتمر خير مثال على الهجوم الاستعماري على الهوية العربية الاسلامية نظرا إلى ما كان يرمي إليه من محاولة إحياء المسيحية في تونس لتحل محل الاسلام وقد وقع الاختيار على قرطاج لأنها تحتوي على أقدم الكنائس في أفريقيا فضلا عن احتوائها جثمان لويس التاسع قائد الحملة الصليبة الثامنة على تونس في القرن الثالث عشر[4]، ولقد أبرز المؤتمر الافخرستي للعيان أحد مظاهر سياسة النظام الاستعماري الاستغلالية فإنه مكن كذلك من تصوير سياسة التميز التي كانت تمارسها السلطات الفرنسية في المجال الديني فالديانتان الممثلتان لأغلبية السكان هي أبعد ما أن تكون عن الاستفادة من الامتيازات التي تقدمها الحكومة للكنيسة المسيحية فقد كانت المساعدات

[1]- أحمد القصاب، المرجع السابق، ص 532.

[2]- خليفة شاطر وآخرون، المرجع السابق، ص ص 85- 86.

[3]- أحمد القصاب، المرجع السابق، ص 532.

[4]- عواد إبراهيم خضر العبيدي و حسن علي خضر العبيدي، المرجع السابق، ص 10.

الممنوحة لجامع الزيتونة والخاخامية زهيدة بالقياس التي بالمساعدات الممنوحة للأبرشية[1].

ولقد لقي هذا المؤتمر مساندة معنوية ومادية من مختلف الأطراف إذ ساندت انعقاده الحكومة الفرنسية بل وأن وزير الخارجية الفرنسية بريان (**Briand**) أراد أن يظهر المؤتمر على أنه إنتصار وطني قبل كل شيء أما رئيس الجمهورية قاستون دومريقو فقد إستقبل أسقف قرطاج وشجعه، وفي نفس الإطار خصصت سلطات الحماية للمؤتمر مبلغا ماليا هاما زيادة على ما تتلقاه كنسية قرطاج سنويا من دعم مالي فهذه الاحتفالات التي كانت تبدو عادية بالنسبة للمسيحيين قد بدت وكأنها إهانة للمسلمين وتشكل بذلك تحديا لسكان أغلبيتهم الساحقة من المسلمين[2]، كما أنه كان بمثابة الفرصة للقوى الوطنية وللصحافة لطرح مواضيع في غاية الأهمية تتمحور حول الضمانات الدستورية والرقابة المالية لميزانية الدولة كما أنه قد وجه نداءات في الرسائل الممضاة للباي والشخصيات التونسية للمشاركة لمقاطعة المؤتمر[3].

3- ردود الفعل حول المؤتمر الافخرستي

لم يقف الوطنيون في تونس أمام إنعقاد هذا المؤتمر موقف المتفرج بل سعوا للوقوف ضد تنظيمه والعمل على التشويش على مجرياته منذ إنطلاق أشغاله بداية بقدوم الوفود واستخدام التونسيون العديد من الوسائل التي كانت متاحة لهم لتعبيرعن موقفهم الرافض لتنظيم هذا المؤتمر على الأرض التونسية كالإضرابات

[1]- علي محجوبي، جذور.....،المصدر السابق، ص 504.

[2]- محمد السعيد عقيب، المرجع السابق، ص 293.

[3]- عميرة علية الصغير وآخرون: مواقع من الذاكرة (تونس 1881م – 2014م)، مركز النشر الجامع والمعهد العالي لتاريخ تونس،2018م، ص ص 78- 79.

والنداءات والمظاهرات والتجمعات والتظاهرات ... إلخ، واغتنم التونسيون فرصة هذه التظاهرة المسيحية لإخراج الحركة الوطنية من السبات الذي أصابها منذ **1926م**، وقد وفر المؤتمر الافخرستي الفرصة لتعبئة السكان التونسيين ضد النظام الاستعماري الذي كان له آثاره الملموسة بوجه خاص، وفي هذا الجو المتفجر إستغل الوطنيون إنعقاد المؤتمر للتنديد بالتحالف الاستعماري مع الكنيسة الموجه للاسلام والرامي للقضاء على الشخصية التونسية[1]، كما أن تحرك الجماهير قد كثف عقد الاجتماعات، وقد نظم ببنزرت وطلبة الزيتونة تحركات شعبية فإنطلقت إضرابات عمال الرصيف سبق بالإضافة إلى تلاميذ معهد كارنو والمدرستين الصادقية والعلوية، وأغلقت الدكاكين احتجاجا على انعقاد المؤتمر وعلى وقاحة المسيحيون الذين كانوا يتجولون في شوارع العاصمة التونسية مرتدين زي الصليبيين مما شكل تحديا إضافيا[2] حيث أن عندئذ الطلبة والتلاميذ نظموا اجتماعا في جامع الزيتونة ونزلوا على إثره في مظاهرة عظيمة في المدينة فتدخلت الشرطة لتشتيتهم وتم إيقاف **17** متظاهرا في اليوم الموالي إستأنف التلامذة إحتجاجاتهم رغبة في مواصلة الإضراب حتى يفرج عن رفاقهم فقدموا عريضة إلى الوزير الأكبر والى الصحافة واحتجوا على مس كرامتهم وحرياتهم الديمقراطية وأكدوا على ضرورة إطلاق سراحهم وواصلو المظاهرات حتى بعد الإفراج عن خمسة أشخاص من الموقوفين حيث إستدعى مدير الأمن البعض منهم: الشاذلي خير الله، محي القليبي، عمر بن قفصة ونسبت لهم الأحداث الأخيرة[3]، أما فيما يخص الحزب الدستوري فقد كان موقفه من المؤتمر رافضا له تمام ووصفه بأنه حملة صليبية جديدة على تونس، ولقد كتب إحتجاجا وجهه إلى الباي ورجال دولته نبههم إلى خطورة الموقف ومخاطبا

[1]- محمد السعيد عقيب، المرجع السابق، ص 295.

[2]- حفيظ طبابي، البناء الوطني وتحديات الاستقلال، الدار التونسية للكتاب، أريانة، تونس،2011م،ص 93.

[3]- علي محجوبي، جذور.....، المصدر السابق، ص ص 517- 518.

الباي: «فقد رأينا ان نلفت نظر جنابكم إلى أن المؤتمر جاد في صبغة لا تسمح معها منزلتكم من الاسلام من الاستمرار بالمشاركة فيه»، إلا أن الباي لم يولي إهتماما إلى حركة الاحتجاجات التي أثارها الحزب الدستوري على الرغم من أن الحزب لم يقم بتلك الحركة لوحده بل شاركته فيها مختلف الأحزاب والمنظمات الفرنسية (الشيوعية والاشتراكية والراديكالية) الذين عملوا على إبعاد الطابع الرسمي للمؤتمر الافخرستي وتمويليه رسميا من طرف الحكومة واحتجوا على الحكومة الفرنسية بإسم الحرية الدينية ومبدأ حياد الحكومة فيما يتعلق بالقضايا الدينية[1].

4- أهداف و أبعاد المؤتمر الافخرستي

إن المؤتمر الافخرستي الذي عقد بتونس من **7ماي إلى 11 ماي 1930م** جاء في ظروف تحاول فيها فرنسا إثبات تمكنها من الهيمنة على شمال إفريقيا سياسيا وثقافيا، فأرادت بهذا المؤتمر تأكيد هذه النظرية والبعد المسيحي في شمال إفريقيا[2]. كما يقول مازن صلاح حامد مطبقاتي بأنه: مؤتمر نصراني كان هدفه محاربة الاسلام في إفريقيا وبحث الوسائل لنشر المسيحية[3]، كما جاء هذا المؤتمر من أجل القضاء على الدين الاسلامي بالقطر التونسي، كما عد أيضا حملة صليبية وقع إعلانها في وضح النهار ضد الإسلام.

[1]- عواد إبراهيم خضر العبيدي و حسن علي خضر العبيدي، المرجع السابق، ص 11.

[2]- حميدي أبو بكر الصديق، قضايا المغرب العربي في اهتمامات الحركة الاصلاحية الجزائرية 1920م- 1954م، دار الهدى، الجزائر، 2015م، ص 107.

[3]- مازن حامد مطلقاتي، المغرب العربي بين الاستعمار والاستشراق، تق: د. علي محمد جريشة، دار بني مزعنة، الجزائر، د ت، ص 21.

ولقد اكتسى المؤتمر الافخرستي سر القربان في الثقافة المسيحية المنعقد بقرطاج في شهر **ماي 1930م**، وبالرغم من كونه سعى لإقناع الباي بأنه مجرد مجلس عادي ولكنه اكتسى طابعا آخر، ولقد دعا **700** شخصية بأن يرسلوا كتابا ممهورا بإمضاءاتهم، ولقد انتقذ التونسيون هذا المؤتمر ووصفوه وعدوه حملة صليبية هدفه تنصير شمال إفريقيا المسلم كما صرح بذلك رئيس أساقفة قرطاج. فإثارة روح صليبية وبرنامج سان لويس بالنسبة للمسلمين لم تكن مجرد تجليات حكيمة ومطابقة لقوانين الضيافة خاصة في بلد مازال وفيا للإسلام منذ ثلاثة عشر سنة[1]. كما أشار أحمد القصاب إلى أن هذا قد أكد بصورة مفضوحة على الحضور المسيحي بإفريقيا وعبر علن عزمه على التوسيع من نطاقه، وقد كان الحديث آنذاك يجري حول تجريد البلاد من صيغتها الإسلامية، وتعهد المسيحية المنتصرة بجلب الشعوب التي بقيت ضالة إلى حد ذلك التاريخ إلى حظيرتها[2].

ولم تكن تصريحات منظمي المؤتمر الافخرستي بقرطاج إلا انعكاسا لخطة متكاملة تمارسها الكنيسة، تمارسها الكنيسة ملامحها خاصة في المؤسسات التربوية التابعة للبعثات التبشيرية، ولقد كشف الكاردينال لوماتر عن النوايا الخفية من وراء تعليم البنت المسلمة في مدارس الأخوات البيض حيث قال: «من خلال المرأة ستنفذ المسيحية إلى بيت المسلم فديانتنا تنشئها وتحررها بدلا من أن تتركها مستبعدة وهذه الفكرة من أهم الأسس التي قام عليها تفكير لافيجري، ويعتبر المؤتمر الافخرستي احد تجليات الهجوم الاستعماري على الهوية العربية الاسلامية ويرمي الى القضاء على الشخصية

[1]- Mahfoud Khaddache, Histoire du nationalisme algerien, tome 1, 1919-1939, edit 2000, p 239.

[2]- أحمد القصاب، المرجع السابق، ص ص 532- 533.

التونسية العربية الاسلامية» [1]، واعتبر التونسيون أن هذا المؤتمر أصبح مظهرا للحملة العدائية العنيفة التي يقوم بها رجال الكنيسة ضد الاسلام والتي أخذت تشكل بشكل خطير، ولقد أعلنوا بأن هذا المؤتمر حملة صليبية وبأن الدافع لهم على عقده هو تحقيق الفكرة التي كانت تدور بين جنبي لويس التاسع والتي حملها الكاردينال لافيجري وليست هذه الفكرة سوى مايقصده لويس التاسع من حملاته الصليبية على هذه الديار وهو إرجاعها إلى الصليب الذي أجبرت على قبوله بعصف الرومانيين[2].

إن إصرار سلطات الحماية الفرنسية على تنظيم هذا المؤتمر بهذا الشكل وبهذا المحتوى ليؤكد حقيقة الحقد الصليبي الدفين وكرههم الشديد للإسلام والمسلمين، وبالتالي فإن تنظيم هذا المؤتمر يكون قد فضحهم وكشف نواياهم الخبيثة أكثر مما يخدمهم، وفي نفس الوقت فقد عبر فعل الوطنييت التونسيين اتجاه هذا المؤتمر عن عمق توسعهم بلغتهم وبدينهم الإسلامي الحنيف[3]، إلا أن هذا المؤتمر قد فشل فشلا ذريعا في تحقيق أهدافه على مستوى الفكر والعمل، ويرجع السبب في فشل هذه الحملة الصليبية إلى الحملات الصحفية العنيفة التي قادها المثقفون التونسيون وفي طليعتهم أبناء الزيتونة[4].

[1]- خير الدين شترة، إسهامات.....، المرجع السابق، ص 715.

[2]- محمد السعيد عقيب،الحزب الدستوري التونسي القديم (1934م- 1956م)، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر 2، 2009م-2010م، ص 76.

[3]- قدادرة شايب، الحزب الدستوري الجديد وحزب الشعب الجزائري (1934م- 1954م)، دراسة مقارنة أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، الدولة في التريخ الحديث والمعاصر، جامعة منتوري، قسنطينة، 2006م- 2007م، ص 108.

[4]- الطاهر عبد الله، المصدر السابق، ص 222.

ويذكر علال الفاسي بأن هذا المؤتمر لا يغدوا أن يكون مثل المؤتمرات التي يعقدها ذووا العقائد والنزعات المختلفة في البلاد المسيحية والمسلمة على حد سواء، ولكن الحقيقة أن الدافع لمقاومة التونسيين لم تكن هي روح التعصب كما يظن، وإنما هي المقاومة السياسية الأهلية الفرنسية التي ترمي لفرنسة شعوب المغرب العربي عن طريق تمسيحهم، فاستغلال رجال الدين واستعمال القوة الروحية التي تمثلها المسيحية لتمكين المستعمرين من الوصول إلى أغراضهم في هدم الكيان التونسي هو الباعث الأول في الموضوع. وزيادة عن ذلك فإن الحماية لا يمكنها أبدا أن تمسح للمسلمين عقيدتهم بعقد مؤتمر كبير إسلامي على نمط المؤتمر الافخرستي في أرض الحماية ولو كان مجرد مؤتمر ديني لا محل لسياسة فيه، فالمسألة تكتسي أيضا صبغة المقاومة لروح التحيز المبني على تعصب ممقوت[1].

[1]- علال الفاسي، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، ط6، مؤسسة علال الفاسي، الدار البيضاء، 2003م، ص 72.

خلاصة الفصل

إن الشعب التونسي رفض الاستعمار منذ الوهلة الأولى وقاومه وذلك بداية بالكفاح المسلح ونتيجة لفشل هذا الكفاح رأو أنه لابد من تغيير الأسلوب لعلهم يحققون هدفهم فتوجهوا إلى العمل الاصلاحي الذي كان مبني على الجمعيات والنوادي ليتحول هذا النضال إلى سياسي يطالب بحقوقه في شكل أحزاب كالحزب الدستوري الحر ونوادي قانونية.

لقد كانت الأوضاع الاقتصادية بتونس بعد نهاية الحرب إن العالمية الأولى **1919م** قد كانت مزرية حيث أن فرنسا كانت تستولي على أراضي التونسيين بصفة كبيرة بالنسبة للزراعة، أما بالنسبة للتجارة فقد كانت هي الأخرى متدهورة وكان يسيطر عليها الأوروبيين، أما الصناعة هي الأخرى فقد إكتسحت المنتوجات الفرنسية البلاد التونسية مما أدى إلى إنتشار الفقر في صفوف الصناع. أما ثقافيا نجد أن فرنسا قد جندت كل الوسائل لتصدي إلى كل الجمعيات الوطنية وكل المدارس ومراكز التعليم التي تهدف إلى نشر التعليم والدفاع عن الروح الوطنية ومحاولة فرنسا أن تخلق فئة موالية لها من خلال فرنستها وطمس اللغة العربية لذلك نجد أنها قد عملت ما بوسعها من أجل القضاء على لغة وثقافة التونسيين.

انعقد المؤتمر الافخرستي بمدينة قرطاج بتونس في **ماي 1930م** تخليدا للحملة الصليبية السابعة التي ذهب ضحيتها لويس التاسع وقد اعتبره التونسيون حملة صليبية قاسيه، فقد كان عبارة عن استفزاز للشعب التونسي حيث نظمت مواكب المؤتمر متزامنة مع استعراضات الشباب الكاثوليكي وهم يرتدون مالبس الصليبيين ويجوبون شوارع تونس بخطى عسكرية. كما تميزت هذه الفترة بإحياء الذكرى المئوية لاحتلال الجزائر و صدور الظهير البربري وظهور بوادر المصاعب الاقتصادية

والاجتماعية، وكل هذه التظاهرات تمثل تهجم من فرنسا على الاسلام، حيث كانت ترمي إلى احياء المسيحية في تونس. وقد استغل التونسيون هذه التظاهرات لإخراج الحركة الوطنية خاصة من السبات الذي أصابها منذ **1926م**، حيث وفر لهم هذا المؤتمر الفرصة لتعبئة السكان ضد النظام الاستعماري. حيث خرج التونسيون في مظاهرات صاخبة أرادوا تفكيك تمثال الكاردينال لافيجري كما أضرب العمال وصغار تجار وبادرت السلطة الفرنسية بقمعهم بالقوة هذا ما زاد الشعب التونسي إصرارا واحتج مرة أخرى أمام الوزير الأكبر وطالبوا بإطلاق سراح المساجين مما اجبر سلطة الحماية على إطلاق سراح بعض الطلبة.

الفصل الثاني:

تداعيات الاحتفالات بالذكرى المئوية لاحتلال فرنسا للجزائر1930م على المغرب

الفصل الثالث: تداعيات الاحتفالات بالذكرى المئوية لاحتلال الجز ائر على المغرب

أولا: أوضاع المغرب الاقصى قبل إصدار الظهير البربري 1930م

1- الأوضاع السياسية والعسكرية

1.أ- سياسيا

أطلقت الإتفاقية الفرنسية-الألمانية[1] يد فرنسا التي بدأت بسرعة لتحقيق هدفها التوسعي وتحت ضغوطات فرنسية شديدة وقع السلطان المغربي مولاي عبد الحفيظ معاهدة الحماية[2] في **30 مارس 1912م**. وبعد فرض الحماية على المغرب أبقت فرنسا على المؤسسة الحاكمة في المغرب المتمثلة في السلطان المغربي، وبموجب اتفاق فاس نوفمبر **1912م** تم وضع المغرب تحت سلطة المقيم العام الفرنسي مع تخصيص منطقة إسبانية ومنح المندوب الإسباني فيها السلطة كاملة والإعتراف بالوضع الدولي لمدينة طنجة[3]. وهكذا فقد أدى فرض فرنسا حمايتها على المغرب بموجب (معاهدة

[1]- تم الاتفاق في 4 نوفمبر 1911م على تنازل فرنسا عن جزء من الكونغو الفرنسية لألمانيا، مع ضمان المصالح الإقتصادية الألمانية في المغرب، نظير إعتراف بنفوذ فرنسا وحدها في المغرب وألا تعرقل عمل فرنسا لو أخذت على عاتقها حماية المغرب. انظر: فادية عبد العزيز القطعاني، الحركة الوطنية المغربية 1912م- 1937م، المجلة الجامعة، مج 1، العدد 17، فبراير 2014م، ص 45.

[2]- معاهدة الحماية: وتعرف أيضا بمعاهدة فاس عقدت في 30 مارس 1912م، حيث ضمنت بموجبها فرنسا حق إقامة نظام جديد للإصلاحات الإدارية والقضائية والإقتصادية والمالية والعسكرية، كما منحتها حق إحتلال أي أرض مغربية تراها ضرورية للمحافظة على الأمن والتجارة، كما كفلت المعاهدة لفرنسا حق التمثيل الخارجي...وحصلت فرنسا على حق التصرف بالجزء الشمالي بالمغرب لصالح إسبانيا، وجعلت طنجة منطقة دولية، انظر: فادية القطعاني،مرجع سابق، ص 45.

[3]- أحمد إسماعيل راشد، تاريخ أقطار المغرب العربي السياسي الحديث والمعاصر(ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب، موريتانيا)، ط1، دار النهضة العربية بيروت، لبنان، 2004م، ص 208.

فاس) إلى إستقالة السلطان المغربي عبد الحفيظ، وخلفه السلطان يوسف بن الحسن الأول **1912م- 1927م**[1].

ولما كانت إسبانيا تحتل بعض أجزاء الشمال المغربي فقد تم الإعتراف في هذه المعاهدة بـ "مصالح إسبانيا" (**10/1** من مساحة البلاد) بموجب إتفاق **27 نوفمبر 1912م**، وأن تكون منطقة نفوذ إسبانيا خاضعة للنفوذ المدني والديني لسلطان المغرب والذي يمثله خليفة يقطن بمدينة تطوان[2] التي اتخذت عاصمة الشمال المغربي. كما تم في معاهدة فاس الإعتراف بـ"الوضع الدولي"[3] لمدينة طنجة[4].

ففي المجال السياسي والإداري سلبت معاهدة فاس السلطان المغربي دوره في ممارسة مهامه في السياسة الداخلية والخارجية، حيث أصبح المقيم العام الفرنسي الجنرال **ليوتي**[5] **Lyautey** (**1912م- 1925م**) هو المسيطر على شؤون البلاد، وله

[1]- محمد علي داهش، دراسات في الحركة الوطنية والإتجاهات الوحدوية في المغرب العربي، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2004م، ص 129.

[2]- مدينة تطوان: أسست في عهد يوسف المريني واتسعت عمارتها طيلة العصر المريني واحتلها الاسبان عقب حربهم مع المغرب، وبعد الحماية أصبحت تيطوان عاصمة للمنطقة المحتلة. انظر: سليمة مرسي، منطقة الريف ودورها في الحركة الوطنية في المغرب الأقصى 1912م- 1953م، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تخصص تاريخ الوطن العربي، جامعة بسكرة، 2018م- 2019م، ص ص 9- 10.

[3]- محمد علي داهش ، المرجع السابق، ص 130.

[4]- مدينة طنجة: من أقدم المدن المغربية، لعبت دورا هاما في تاريخ المغرب الحديث والمعاصر، تقع في رأس بوغار(جبل طارق) بين البحر الأطلنطي والبحر المتوسط، عرفت المدينة خلال تاريخها الطويل كل من الاستعمار الاسباني والبرتغالي. انظر: سليمة مرسي، المرجع السابق، ص 24.

[5] الجنرال ليوتي: جنرال فرنسي ولد في 17 نوفمبر 1854 في نانسي، أول حاكم والمقيم العام الفرنسي بالمغرب الأقصى بعد احتلاله من 1912 حتى 1925، ومنذ سنة 1921 أصبح مارشال فرنسا، صاحب فكرة السياسة البربرية بالمغرب الأقصى.انظر: بوعزة بوضرساية، سياسة فرنسا البربرية في الجزائر1830م- 1930م وإنعكاساتها على المغرب العربي العربي، ط2، دار الحكمة للنشر، الجزائر، 2012م، ص 238.

السلطة المطلقة باسم الحكومة الفرنسية، حيث تم إلغاء وزارة الخارجية والحربية والمالية وتم ربط البلاد بوزارة الخارجية الفرنسية[1].

ولقد انتهج المقيم العام ليوتي ومساعدوه من المدنيين والعسكريين أساليب مكنتهم من السيطرة على الأجهزة الإدارية والأنظمة القضائية والتشريعية التي بموجبها تم القضاء على الحريات العامة، ومن أبرز مظاهر هذه السياسة العمل على تفكيك أواصر الوحدة (المغربية الوطنية، الدينية، الثقافية والحضارية) للشعب المغربي عن طريق محاولة إبعاد العنصر الأمازيغي عن دائرة الإسلام والعروبة[2]. وقد مارست فرنسا في المغرب نفس الأساليب التي اتبعتها في كل من الجزائر وتونس، بانتهاجها الإدارة المباشرة والاستيطان الزراعي الفرنسي الأوروبي، وسلب الحقوق السياسية للسلطان والشعب المغربي[3].

إن الدارس للإجراءات التي قامت بها فرنسا عقب توقيع معاهدة الحماية تظهر له النوايا الحقيقية لفرض فرنسا الحماية على المغرب، فهذه الإجراءات جعلت من سلطة المخزن سلطة صورية حيث جردتها من كل سيادتها الداخلية والخارجية على المغرب. وأصبح المقيم العام الفرنسي هو الذي يسير ويسطر على شؤون البلاد، وهي الخدعة التي تفطن لها السلطان المغربي عبد الحفيظ مما أدى به إلى التنازل عن العرش. وبهذا تكون فرنسا قد خرقت معاهدة الحماية لإنتهاجها سياسة الإدارة المباشرة

[1]- أكادمية العلوم في الإتحاد السوفياتي، معهد الإشراف: تاريخ الأقطار العربية المعاصر، بط، ج 1، دار التقدم، موسكو، 1976م، ص 381.

[2]-محمد علي داهش، المغرب العربي المعاصر (الإستمرارية و التغيير)، ط 1، الدار العربية للموسوعات، بيروت، لبنان، 1435هـ- 2004م، ص ص 41- 42.

[3]- محمد علي داهش، دراسات في الحركة الوطنية...، المرجع السابق، ص ص 129- 130.

أو مايطلق عليه الإستعمار المباشر وانتهاجها لنظام الحماية هو فقط من أجل التقليل من التكاليف وتحقيق الأهداف بأقل الأضرار مستفيدة من تجربتها ودروسها التي تلقتها في الجزائر حيث كلفها الإستعمار المباشر الكثير.

1.ب- عسكريا

يرجح أغلب المؤرخون على أن توقيع معاهدة الحماية **30 مارس 1912م** كانت بمثابة الإنطلاقة الفعلية لبسط السيطرة الفرنسية على المغرب الأقصى، من خلال إبرام عدة إتفاقيات ومعاهدات وإستخدام الضغوطات الإقتصادية وغيرها، وهكذا عرف المغرب مع بداية ق **20م** عدة تمردات وثورات لمجابهة التدخل الأجنبي بالمغرب، فمنذ **1907م** قاومت القبائل الشاوية والقبائل المجاورة لها بخوضها لعدة معارك دموية لمدة مايقارب السنة تعبيرا عن رفضها لكل تدخل أجنبي[1].

كما شهدت مدينة فاس مقاومة للإحتلال الفرنسي في **17 أفريل 1912م** أي بعد حوالي أسبوعين والتي عرفت بأيام فاس الدامية جراء توقيع معاهدة الحماية من طرف السلطان عبد الحفيظ حيث ثار الجنود المغاربة على هذا الوضع، فأقدموا على إغتيال بعض الضباط والفتك بالعديد من الفرنسيين المقيمين بمدينة فاس. ومع إلتحام الأهالي بالثورة ضد قوات الاحتلال الفرنسي تعاون الجنود المغاربة وتناصروا مع القبائل المجاورة التي إقتحمت فاس للتصدي للهيمنة الأجنبية[2]، ولم يبقى الجنوب المغربي بمنئ

[1]- محمد بن جلول، معالم الكفاح الوطني والمقاومة في سيبيل الإستقلال والوحدة، المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، أعمال الندوة العلمية 13،14،15، نوفمبر 1991م، جامعة إبن زهر، أكادير.

[2]- علي محجوبي، العالم العربي الحديث والمعاصر تخلف فاستعمار فمقاومة، دار محمد علي الحامي،دت، ص 133.

عن هذه الإنتفاضات الشاملة إذ نجد هبة الله ابن ماء العينين[1] يقود مقاومة عنيفة ضد قوات الاحتلال الفرنسي، معتمدا على الرجال الزرق الذين كانوا يتميزون بالبسالة والشجاعة في القتال، حيث إستطاع السيطرة على مراكش. بالإضافة إلى المقاومة الكبرى في منطقة الريف التي تزعمها الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي[2] الذي أسس بدوره جمهورية الريف[3].

وسعيا منها لمقاومة القبائل الثائرة أقدمت فرنسا على تشكيل سياسة كبار القواد[4] بديلا يسمح للإقامة العامة بأن تقدم على المستوى السياسي ماكانت تنعته بالتمهيد، الذي تقصد به السعي إلى إخضاع كل القبائل الموجودة خارج سيطرة المخزن والقاطنة بما يسمى بمناطق السيبة على أساس أنه عملية صادرة عن رغبة السلطان في ذلك وبتنفيذ المغاربة أنفسهم، وهو مايخدم مساعي ليوتي فيما يتعلق بتطبيق نظام

[1]- هبة الله ابن ماء العينين: ابن الشيخ ماء العينين فقيه وشاعر ومجاهد في بلاد المغرب الأقصى وشنقيط ولد في 9 سبتمبر 1877م، عقدت معه قبائل السوس والصحراء البيعة كأمير للجهاد ضد الاستعمار الإسباني والفرنسي، حيث ورث عن أبيه الشيخ ماء العينين تنظيم الحركات الجهادية في بداية القرن العشرين، كما ورث عنه مشيخته الصوفية. بعد فرض فرنسا معاهدة فاس على المغاربة، دخل أحمد الهيبة بقواته مدينة مراكش وأعلن سلطاناً على المغرب. رفضت حكومة فرنسا الاعتراف بالشيخ أحمد الهيبة سلطانا على المغرب وأعلنت الحرب عليه بعد أن يئست من استمالته ليقبل الخضوع لها، وظل الكر والفر بين قوات الشيخ والجيش الفرنسي منذ سنة 1912م، توفي 26- 27 يونيو 1919م بتنزيت. انظر: الشيخ أحمد الهيبة بن الشيخ ماء العينين، الجزيرة.نت، تاريخ الولوج 22 مارس 2024م " نسخة مؤرشفة" ، مؤرشف من الأصل في 2017-07-25. اطلع عليه بتاريخ 22- 03- 2024م على الساعة 17:54.

[2]- عبد الكريم الخطابي: قائد حرب الريف ضد الجيوش الإسبانية في المنطقة الشمالية من المغرب الأقصى، لقد ظهر أنه الأمل الوحيد لدى المغاربة للتخلص من الحماية المفروضة عليهم قبل أن تتحد الجيوش الإسبانية والفرنسية لتقضي عليه في آخر المطاف.انظر: احمد عبد السلام البوعياشي، حرب الريف التحريرية ومظاهر النضال، ج1، مطبعة دار الأمل، طنجة، المغرب، 1974م، ص 14.

[3]- أبو بكر القادري، مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية من 1930م- 1940م،ج1، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 1413هـ- 1992م، ص 31.

[4]- كبار القواد: هم عبارة عن مسؤولين يعينهم المخزن على رأس بعض المناطق التابعة له يقومون فيها بتمثيل المخزن. أنظر: دفاتر الشاوية، المقاومة الوطنية في الشاوية، مطبعة دار القرويين، ط1، ص22.

الحماية، وفعلا فقد كانت القوات التي يشرف عليها القواد بمثابة الدرع الذي وفر على القوات الفرنسية الكثير من الخسائر المادية والبشرية، في وقت كانت لا تزال فيه بعيدة عن تحقيق السيطرة العسكرية، وهكذا فقد كانت هذه القوات أداة فعالة في إخضاع القبائل الثائرة في بعض أنحاء البلاد، وفي نفس الوقت ذاته كانت مصدرا لإضفاء الشرعية على عملية توسيع رقعة الاحتلال الفرنسي[1].

أما في ما يخص منطقة الشمال فلم يكن لاحتلال المغرب من طرف إسبانيا أن يتحقق دون صعوبات حيث شهدت وحتى قبل مصادقة هذه الأخيرة على اتفاق **27 نوفمبر 1912م** المنعقد بينها وبين فرنسا، فإنه كان عليها أن تتصدى لمقاومة عنيفة على يد قبائل الريف. فقد قام الزعيم الريفي في صيف **1921م** بالهجوم على القوات الاسبانية واستطاع طردها من المواقع التي احتلتها[2].

لاقت فرنسا مقاومة عنيفة ورفضا قبلي منذ وطأت أقدامها أرض المغرب، مما أرغمها على الإعتماد على قوات مغربية لإضفاء الشرعية على إنتشار وتوسع رقعة الإستعمار الفرنسي، خاصة في المناطق التي سميت بمناطق السيبة، وهي مناطق لم تكن تخضع لسلطة المخزن حيث كان من أول مشاريع الإستعمار إخضاعها وإستتباب الأمن فيها تمهيدا لتنفيذ أهدافه. ومنه فقد فقد المغرب الاقصى استقلاله بموجب معاهدة الحماية **30 مارس 1912م** وحرم السلطان من ممارسة سياسته الداخلية والخارجية، ليستقيل بعدها بشهور السلطان عبد الحفيظ الذي خلفه يوسف بن الحسن الأول وهكذا قسم المغرب بين فرنسا وإسبانيا، وإنتهج المقيم العام ليوتي

[1]- محمد القبلي، تاريخ المغرب تحسين وتركيب، منشور ات المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب، ط1، الرباط، 2011م، ص ص 533- 534.

[2]- نفسه، ص 535.

أساليب سمحت له بالسيطرة على الأجهزة الإدارية التي بموجبها تم القضاء على الحريات العامة.

وقد نجم عن كل ماسبق ذكره قيام ثورات قبلية ضد قوات الاحتلال في كل أرجاء المغرب الأقصى، خاصة ما سمي بثورة الريف بزعامة محمد بن عبد الكريم الخطابي بالشمال المغربي، وسعيا من الإدارة الفرنسية للقضاء على حدة الثورة هناك سعت إلى العمل على دراسة المجتمع المغربي ومحاولة اللعب على عامل عنصر الأقليات حيث صبت إهتمامها على العنصر القبائلي.

2- الاوضاع الاجتماعية

1- التركيبة البشرية

يتكون المجتمع المغربي من مجموعتين رئيسيتين هما: العرب والبربر، حيث قدر عدد سكان المغرب سنة **1990م** بـ **25** مليون نسمة.

أ- العرب[1]:

ويمثلون ما نسبته **50-55%** ويقطنون غالبا في المناطق الساحلية وكان دخولهم إلى البلاد إبان الفتح الاسلامي ثم بعد ذلك مع مجيء بني هلال بالإضافة إلى عدة مراحل في التاريخ، وكلما كانت تسوء الأوضاع السياسية في المشرق تنطلق قوافل هائلة بإتجاه المغرب هربا من الأوضاع السياسية التي أرغمتهم على المغادرة، ومن هؤلاء: الأدارسة، الأشراف، السعديين والأشراف الحسنيين (الحكام حاليا)، كما كان للصراع الذي قام

[1]- العرب: أختلف الناس في العرب لم سمو عربا فقال بعضهم: أول من أنطق الله لسانه بلغة العرب... والبعض يقول هم كل من سكن بلاد العرب وجزيرتها، ونطق بلسان أهلها. انظر: ابي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، مج 1، دار صابر، بيروت.

بين الأندلسيين ونصارى الإسبان والبرتغاليين دور في قدوم مجموعات من كل أقطار البلاد العربية وباقي الأمصار الإسلامية لشد الرحال نحو بلاد المغرب للجهاد في سبيل الله، وقد فضل الكثير منهم الإستقرار هناك. وكذلك إلتحاق المسلمون الأندلسيين بالمغرب بعد طردهم سنة **1492م** وبقائهم هناك آملين في العودة إلى موطنهم الأندلس[1].

ب- البربر

ويشكلون ما مجموعه من **40-45%** من التعداد السكاني في المغرب ويعيشون عادة في المناطق الجبلية، الريف، الأطلس الأعلى، الأطلس الأوسط، ويعدون السكان الأصليين للبلاد، وما أن وصلت الفتوحات الإسلامية لبلاد المغرب حتى راحوا يعتنقون الدين الاسلامي ويساهمون في الفتوحات الإسلامية جنبا إلى جنب مع إخوانهم المسلمين من باقي الشعوب الأخرى بالأخص العرب، ومنذ أن حسن إسلامهم وهم لم ينازعوا الأمر أهله حيث كانوا دائما في الصفوف الأولى للجهاد بالتصدي للزحف الصليبي في الأندلس، فالبربر يعد شعب مسلم كغيره من باقي الشعوب الإسلامية التي تتكون منها الأمة ويحيى مع إخوانه العرب حياة واحدة. وهذا لا يعني انه لم تحدث محاولات للتفرقة بين الإخوة، فقد حدث ذلك أيام الإستعمار ولاقت آذان صاغية لها، إلا أنها لم تدم سوى فترة وجيزة وسرعان ما يتفطن الطرفان العرب والبربر ويقضون على تلك المحاولات، ولم يتنافس البربر العرب على الحكم في يوم ما، لإعتقادهم بأحقية العرب فيه مادامت الأسرة الحاكمة يرجع نسبها إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم) ولهذا تأثير في المغرب[2].

[1]- محمود شاكر، التاريخ الإسلامي المعاصر بلاد المغرب، ط1، المكتب الإسلامي، 1996م، ص ص 444- 445.

[2]- نفسه، ص ص 445- 446.

أما بقية المجموعات البشرية الأخرى فهي لا تتعدى نسبتها ما يقدر بـ **5%** وهي تتكون من المجموعة الأوروبية واليهودية[1].

- **الأوروبيون:**

وهم بمثابة سلاح الاستعمار وأداته لتحقيق أهدافه، حيث خصهم بمنحهم أجود الأراضي وقدم لهم التسهيلات لإمتلاكها والحصول على الوظائف، وبعد إعلان إستقلال المغرب تقلص عددهم، إذ غادر منهم أكثر من مئة ألف.

- **اليهود:**

يمثلون فئة قليلة ويرجع أصل بعضهم إلى البربر الذين إعتنقوا اليهودية في القديم، وعاشوا في ظلها كما جاء بعضهم من الأندلس فأقاموا في المغرب تحت الحكم الإسلامي[2].

2- التركيبة الدينية

واقعيا ليس هناك سوى مجموعة واحدة وهم المسلمون الذين يمثلون الأغلبية الساحقة من تعداد السكان حيث تقدر نسبتهم بـ **97.5%**. وفي الحقيقة فإن كل السكان مسلمون فإن المجموعتين الأخريين اللتان تمثلان اليهود والنصارى لا يعدون أنفسهم من أهل البلاد رغم حملهم الجنسية المغربية.

أ- المسلمون:

يشكلون سكان البلاد جميعا وكلهم من مذهب أهل السنة والجماعة ويتبعون المذهب الملكي.

[1]- محمود شاكر، المرجع السابق، 446.

[2]- نفسه ، ص ص 446- 447.

ب- النصارى:

لا نكاد نجد أي نصراني من السكان الأصليين وإنما أتوا جميعهم مع الاستعمار «...وكانوا عيونه التي يرى فيها مايتم داخل البلاد، وأذانه التي يسمع بها ما يجري، وهم لسان حاله وصوته الناطق، وكان تفكير المستعمرين الصليبيين أن يكون هؤلاء المستوطنون في المستقبل الدعامة التي يعتمدون عليها في تنفيذ مشروعاتهم وتحقيق أمالهم الاستعمارية، ومصالحهم الاقتصادية، وهؤلاء النصارى أعداء لكل من يحمل فكرا إسلاميا أو له علاقة باللغة العربية، وإن كانت اللغة العربية ليست سوى جانب من الجوانب الاسلامية » .

ت- اليهود:

غالبا ماكانت نسبهم ضعيفة جدا خاصة بعد هجرة الكثير منهم إلى فلسطين، ومن بقي منهم فهم على علاقة متينة مع اليهود الذين إحتلوا فلسطين، وهم يكنون الحقد لكل ما له علاقة بالدين الاسلامي أو اللغة العربية. ومن هنا نستنتج أنه لا توجد في المغرب صراعات قائمة على أساس الانتماء الديني[1].

لطالما عاش العرب والبربر في سالم دون وجود فروق إثنية أو عرقية تفصل بينهما، كما يشهد التاريخ للبربر بمواقفهم المشرفة تجاه الدين الاسلامي ومساهمتهم وبسالتهم في نشره جنبا إلى جنب مع إخوانهم العرب، وهو ما يؤكد تجدر الاسلام في أنفسهم وأن إسلامهم ليس سطحي وإنما نابع عن قناعة وإيمان منهم.

إذن يتكون النسيج البشري للمغرب الأقصى من عنصرين أساسيين هما العرب والبربر، حيث يمثل العنصر الأول مانسبته **55%** فيما يمثل العنصر الأخير مانسبته **45%** عاش العنصران على مر التاريخ في وفاق وتلاحم يدينون دين الاسلام، بالإضافة

[1]- محمود شاكر، المرجع السابق، ص 448.

إلى نسبة قليلة من الأوروبيون واليهود وهم فئة قليلة لا تتعدى مانسبته **5%** من تعداد السكان أكثريتهم يعدون مقيمين لا مواطنين. إستغلت فرنسا هذا الوضع الاجتماعي لتجسيد مشروعها الهادف إلى ضمان السيطرة التامة والبقاء الدائم في المغرب، فراحت تستغل الواقع الإثني للقبائل البربرية بتطبيقها لما سمي بالسياسة الفرنسية البربرية، والتي سنوضحها بشكل أكثر تفصيلا فيما بعد.

3- الإرهاصات الأولى للحركة الوطنية

بدأت هذه الإرهاصات مع نهاية حرب الريف سنة **1925م** فلقد خلف عبد الكريم الخطابي صدى في الداخل والخارج وما حققه من انتصارات في عديد المعارك خاصة في معركة أنوال، وتمكن الشعب المغربي من بلورة وعيه السياسي عثب هذه الفترة عبر تأسيس أول تنظيم ذو طابع سياسي أطلق عليه إسم الرابطة الوطنية سنة **1926م**، وضم زعماء ينتمون للشمال والجنوب وهذا يدل على رفض الإقرار بواقع التجزئة[1].

وتعتبر الحركة السلفية[2] من ابرز المؤثرات على الشعب المغربي نضرا لعملها الذي كان يتركز حول المحاضرات والمقالات والتي تصدر في صحف الجزائر وتونس، وقد جاءت ردا على أصحاب الطرق الصوفية والمشعوذين وعملاء الاستعمار. بالإضافة الى ظهور الاحتجاجات السلمية مما يدل على تبلور وعي المغاربة ومن ذلك احتجاجات على

[1]- خاليد فؤاد طحطح، "نشأة الحركة الوطنية بالمغرب"، دورية كان التاريخية،(مؤسسة كان للدراسات والترجمة والنشر)، عدد 4، مصر، يونيو 2009م، ص ص 30- 32.

[2]- الحركة السلفية: هي حركة إصلاحية كان لها تأثير كبير على الحركة الوطنية، كانت تهدف الى تنوير العقول والخروج من متاهات الخزعبلات، ولقد لقيت من الشباب الفاسي خاصة ما سيجلعها تساهم في بلورة الوعي عن طريق مصلحيها.انظر: عبد الحميد المرنيسي، الحركة الوطنية المغربية من خلال شخصية الأستاذ علال الفاسي الى أيام الاستقلال، تق: عبد الكريم غلاب، مطبعة الرسالة، الرباط، المغرب، 1978م، ص ص 34- 35.

ممارسة سلطات الحماية بالبلاد في استغلال الماء الذي يصب في نهر فاس ما دفع بالمجلس البلدي الى الاحتجاج على السلطة الفرنسية[1].

وكان لفاس ذات التقاليد الاسلامية العريقة أضا دور في الحركة الوطنية من خلال تشكيل علال الفاسي ورفاقه من الدارسين في جامعة القرويين محاضرات ودروس حول مبادئ القومية ومثلها ودعوا المحافظة على الهوية من خلال صيانة اللغة العربية من مشاريع الفرنسة والغزو الثقافي، وقد اعبت هذه الدروس دورا هاما ورئيسيا في التكوين الفكري للخلايا الأولى للعمل الوطني بالمغرب الأقصى[2].

ومنذ سنة **1926م** بدأ الكفاح وراء واجهات ثقافية ودينية تمثلت في العديد من الجمعيات ومنها اتحاد الطلاب وحماة الصدق والتي تركز دورها على التوعية الإسلامية والإصلاح الاجتماعي، وقد كان لها دور بارز فيما بعد الحركة الوطنية ومنها أن أفراد هذه الجمعيات ومنهم علال الفاسي ومحمد الوزاني سيؤسسون كتلة العمل الوطني ليظهر دورها الكبير خاصة بعد صدور الظهير البربري[3].

ثانيا- ماهية الظهير البربري

1- جذور السياسة البربرية

بعد إحتلال الجزائر سنة **1830م** من طرف الفرنسيين وعقدت هذه الأخيرة مع تونس معاهدة الحماية **1881م** لتفرض بعدها الحماية على المغرب الأقصى في **30 مارس 1912م** بعد توقيع معاهدة فاس، وبموجب الفصل الثاني من هذه المعاهدة

[1]- عبد الكريم غلاب، قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي عصر الإمبراطورية العصر التركي في تونس والجزائر، ج3، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت لبنان، 2005م، ص 238.

[2]- فادية عبد العزيز قطعاني، المرجع السابق، ص ص 48- 49.

[3]- محمد علي داهش، دراسات في الحركة الوطنية...، المرجع السابق، ص 132.

أقرت سلطة الحماية أن: « جميع الاصلاحات التي تقوم بها داخل المغرب الأقصى لا تمس الدين الاسلامي بسوء في قليل ولا كثير وأن جميع هذه الاصلاحات لا تجلب أي ضرر على الحالة الدينية ولا تلحق أي أذى بنفوذ السلطان[1] » .

إلا أنه بعد اندلاع إنتفاضة فاس الوطنية والتفاف قبائل الجنوب حول أحمد الهيبة، شعرت فرنسا بخطورة الوضع وخوفها من إنهيار نظام الحماية في بداية عهده ولهذا إستدعت الجنرال "ليوتي" ليصبح مقيما عاما نظرا لما يتوفر عليها من خبرة وكفاءة ، ولهذا قررهذا الأخير تنويع الأساليب الاستعمارية من أجل تهدئة الوضع وتوطيد دعائم السيطرة الفرنسية بالمغرب[2]. وقد تبنى "ليوتي" السياسة البربرية واتخذ قرارات تذكر بتلك التي طبقها الفرنسيون بمنطقة القبائل الكبرى بالجزائر، وكنتيجة ذلك انتعشت الأسطورة البربرية من جديد بل أصبحت إعتقادا راسخا فرض نفسه على مختلف الأوساط السياسية والفكرية والدينية. وبالرغم من إعلان "ليوتي" عن تشبته بنظام الحماية و احترامه لسيادة السلطان على المغرب إلا أن ذلك لم يمنعه من تجريده من سلطته على أكبر جزء من البلاد، وذلك عن طريق رفع الأعراف والعوائد البربرية لمستوى الشرع بإنشاء جماعات قضائية بربرية، ولتحقيق ذلك عملت على اتخاذ الإجراءات ومحاربة كل المؤثرات العربية الاسلامية[3]، ولتحقيق ذلك عملت على اتخاذ الاجراءات التالية: حيث أنشأت حكومة الحماية مدرسة وأطلقت عليها إسم "مدرسة اللغة العربية واللهجات البربرية"، و ابتدأت الدراسة فيها سنة **1913م** تمهيدا للسياسة البربرية وكان جلالة السلطان وحكومة المخزن على غير علم بالسياسة

[1]- محمد المكي الناصري، فرنسا وسياستها البربرية في المغرب الأقصى، ط1، شركة بابل، الرباط، دس، ص 19.

[2]- عبد الحميد إحساين، سياسة فرنسا البربرية بالمغرب (1913م- 1930م) المقاومة المغربية ضد الاستعمار جذور وتجليات،الهلال العربية، الرباط ، 1997م، ص 182.

[3]- نفسه، ص 183.

البربرية وما يرمي إليه الاستعمار ضد الشريعة الاسلامية واللغة العربية وكذلك على الوحدة الوطنية المغربية[1]، وقد إستغل المقيم العام ذلك واستصدر من السلطان لأول مرة ظهير وكان ذلك في **14 سيبتمبر 1914م**، ويقول محرر الظهير على لسان جلالة السلطان «نظرا إلى أن القبائل الجديدة تنظم يوما فيوم إلى الإمبراطورية المغربية بفضل الأمن والسلام، ونظرا إلى أن هذه القبائل من الجنس البربري ولها قوانين وعادات خاصة تستعمل عندها منذ القديم ولها بها تعلق شديد ونظرا إلى أنه يلزم الخير لرعايانا ولطمأنينة إيالتنا السعيدة، و رعاية الحالة العرفية لهذه القبائل، أصدر جلالة السلطان أمره... »[2] ، وينص هذا الظهير من خلال فصله الأول إن القبائل البربرية تبقى شؤونها جارية حسب أعرافها وتقاليدها ويكون ذلك تحت مراقبة الحكومة. أما الفصل الثاني يؤكد أن الصدرالأعظم هو المسؤول عن تعيين القبائل البربرية وكذلك إعلان وضبط قوانينها وهذا بعد موافقة الكاتب العام[3].

وقد صرح الجنرال "ليوتي" في **16 جوان 1915م** قائلا: «لقد عملت في حدود حمايتنا بالمغرب على تنويع الصيغ والأساليب لكي تتلاءم مع كل الأوضاع في هذا البلد المتعددة العناصر، إنني لا أجهل بأن مصلحتنا في المجال الديني كما في المجال السياسي تمكن في أن نفرق أكثر من أن نوحد[4] » .

[1]- محمد الملكي الناصري، المصدر السابق، ص 21.

[2]- نفسه، ص 27.

[3]- محمد سليماني، "السياسة الفريسة البربرية بالمغرب مابين سنتي 1913م- 1930م أصولها وأهدافها وردود فعل المغاربة إزائها"، مجلة قبس للدراسات الإنسانية والإجتماعية، (ثانوية المولى حسن)، العدد 2، المغرب، 2019/12/03م، ص 408 .

[4]- عبد الكريم مغاوي وحليلي بن شرقي، "الظهير البربري"، مجلة تاريخ المغرب العربي، (جامعة بن بوعلي حسيبة)، عدد 9، شلف، ، 2018م، ص 156.

كما أن السياسة البربرية لم تتوقف عند ظهير **1914م** الذي يعتبر اللبنة الأولى لهذه السياسة، وأقدم "ليوتي" في سنة **1915م** على إصدار قرار بتأليف لجنة خاصة للأبحاث البربرية وحدد أغراضها في جمع الأبحاث المتعلقة بالقبائل واستخراج نتائج عملية من هذه الأبحاث، تساعد فرنسا على تنظيم هذه القبائل وإدارتها[1]. وإضافة إلى ذلك أصدرت الإقامة العامة بلاغا مؤرخا في **22 سبتمبر** من نفس السنة يقتضى بجعل اللغة الفرنسية هي اللغة الرسمية للجماعات البربرية[2].

وبعد أن تسنى لفرنسا إحياء أعراف وتقاليد القبائل البربرية جاء ظهير **15 جوان 1922م** لإستكمال السياسة البربرية التي شرعت بها فرنسا، وانطلق هذا الظهير من العرف البربري والذي كان يقضى بأن أراضي أي قبيلة بربرية لا يمكن بيعها للأجانب إلا بعد تنازل جميع أبناء هذه القبيلة عن حقهم في أي أرض معروضة للبيع، كما أن العرف البربري يقظى حق إسترجاع أراضي القبيلة وبالتالي خروج الأجنبي دون أن يحصل على تعويض[3].

مما جعل فرنسا تدعي بأن النظام العقاري الخاص بالبربر نظام ناقص ولهذا أقدمت فرنسا على إصدار ظهير **15 جوان 1922م** والقاضي بتمليك الأجانب أراضي القبائل البربرية وذلك لتحقيق الاستفادة من الأراضي و ثم ترسيخ وجودها في البلاد، وكذلك تجدر الإشارة إلى أن السلطان المغربي لم يوقع على هذا الظهير إلا بعد أن أخذ

[1]- محمد الملكي الناصري ، المصدر السابق، ص 29.

[2]- نفسه، ص 39.

[3]- إبراهيم صهيود عبد السيد، "السياسة الفرنسية اتجاه القبائل البربرية في المغرب الأقصى 1930م- 1937م"، مجلة كلية التربية الأساسية، (معهد الفنون الجملية)، المجلد23، العدد 97، العراق، 2017م، ص 586.

من الحكومة الفرنسية الضمانات القضائية بأن نظام القبائل البربري ما هو إلا نظام مؤقت[1]. وهكذا أثبت السلطان يوسف[2] عدم إعترافه بالسياسة البربرية وسجل أن الدولة المغربية دولة دينها الاسلام وقانونها الأساسي هو الشريعة الاسلامية.

وفي سنة **1926م** شهدت السياسة البربرية إنتعاشا كبير وهذا ما يفسره عدد الجماعات البربرية التي وصلت في عهد سان لوسيان إلى واحد وثمانين جماعة قائمة على الأعراف، كما أصدر المقيم العالم الثالث قرار ينص على تأسيس لجنة لتسيير وتنظيم القضاء البربري وذلك وفي **7 ديسمبر 1929م** وأوكلت رئاستها لسيد الجزائري وهو السيد كوردي[3].

وعليه لم يتوقف المقيم العام الثالث عن السياسة البربرية إلا بإصدار ظهير **1930م** الذي يعتبر الخاتمة التي توجت بها السياسة البربرية، واعتبر هذا الظهير من أخطر الظهائر لما يحمله من أهداف.

2- مفاهيم عن الظهير البربري 16 ماي 1930م

✓ **نشأة الظهير**

تعود فكرة نشأة الظهير البربري **16 ماي 1930م** حين رأى **لوسيان سان Saint Lucien** " المقيم العام الفرنسي الثالث أنه قد حان الوقت لمنح السياسة البربرية صيغتها، وذاع خبر تنفيذ فرنسا لمشروعها السياسي الخطير في الأوساط السياسية والعلمية الاستعمارية مستغلة في ذلك عدم تفطن وإدراك السلطان للمخاطر

[1]- محمد الملكي الناصري، المصدر السابق، ص 50.

[2]- المولى يوسف: 1912م- 1917م تولى العرش في المغرب الأقصى إثر تنازل السلطان عبد الحفيظ عن العرش. انظر: تامر عزام الدلمي محمد سليم، الإدارة الفرنسية في المغرب 1939م- 1956م، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، ص 25.

[3]- بوعزة بوضرساية، المصدر السابق، ص 311.

الحقيقية لهذه السياسة، وكذلك الاستعانة بأفراد دخلوا القصر الملكي وحظوا بثقة السلطان الشاب، هونوا عليه الأمر وصوروه له على أنه أمرا عاديا لا يتطلب معارضة أو أية مقاومة ويشير **ريبو** "**Ribot**"[1] في كتابه بأن السياسة البربرية سيتم تطبيقها في بحر سنة **1930م**، والمسألة الغريبة أن هذا المؤلف هو نفسه واضع الظهير البربري بنصه وفصه وقد قدمه في أطروحته لنيل شهادة الدكتوراه بجامعة الجزائر بتاريخ **8 ماي 1930**م أي بأسبوع قبل صدور الظهير باسم السلطان، وقد أورد "ريبو "مشروع الظهير في كتابه "الجماعات القضائية" البربر ية بالصفحات التالية (**254-255-256**)، والفرق بين ظهير "ريبو" والظهير الذي أصدره "لوسيان سان" باسم السلطان هو أن هذا الأخير وسع دائرة النفوذ الفرنسي على القبائل البربرية وفصلها نهائيا عن السلطة الوطنية، أما بخصوص مقدمتي (ظهير ريبو وظهير لوسيان سان) فقد إتفقا فيها كل الاتفاق، حيث نقل "لوسيان سان" ومقدمة "ريبو "حرفيا ولم يرد سوى البسملة والحمد له موهما الأمة المغربية بأن السلطان مولى يوسف هو من قام بوضع أسس هذه السياسة البربرية، وأن السلطان مولى محمد إنما أثر والده فيما يخص هذا النهج، وهكذا ولد الظهير البربري في جامعة الجزائر لتتلقفه يد لوسيان سان فيقوم بتهذبيه وتنشأته ثم الإعلان عنه في الجريدة الرسمية حاملا زورا وبهتانا إسم سلطان المغرب بتاريخ **16 ماي 1930م**[2].

[1]- مخطط الظهير البربري الصادر بسنة 1930م. انظر: أبو بكر القادري، مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية من 1930م- 1940م، المصدر السابق، ص 31.

[2]- محمد المكي الناصري، المصدر السابق، ص ص 54- 55.

✓ **تعريف الظهير البربري 16 ماي 1930م**

صدر هذا الظهير في عهد المقيم العام الفرنسي "لوسيان سان "، ورغم أنه لم يكن واضح المعالم والأهداف فإنه قام بتجريد حكومة السلطان من بسط سيادتها على القبائل البربرية وإستحدث لهم محاكم عرفية لم يعرفها المغرب في تاريخه، مريدا بذلك جعل البربر رعايا فرنسيين مسيحيين[1].

ولتحقيق هذه الغاية قامت فرنسا بإستصدار الظهير البربري يوم **16 ماي 1930م** والذي جاء مكملا للظهائر المرتبطة به وأخطرها متضمنا بشكل صريح عزل العنصر البربري عن نظيره العربي بتحديد قوانينه وأعرافه ومؤسساته القضائية العرفية والفرنسية، وبهذا أصبح هذا الظهير يحل محل الشريعة الاسلامية بالنسبة للبربر[2].

والحقيقة أن هذه السياسة هي آخر ما إهتدى إليه الساسة الفرنسيين للقضاء على مقومات المغرب العربي وإدراجه في حظيرة العائلة الفرنسية. وتعمدت فرنسا إخفاء معالم السياسة البربرية التي تضمنها الظهير البربري حتى لا تنكشف الأهداف التي كانت تسعى لتحقيقها من ورائها.

✓ **مضمون الظهير**

صدر الظهير البربري في **16 ماي 1930م**[3] تحت ضغط الحماية الفرنسية، والذي يرتكز على التفرقة بين العرب البربر في الأمور الترشيعية المدنية بحسبانه البربر - خلافا

[1]- عبد الحميد المرنيسي، المصدر السابق، ص 44.

[2]- علال الفاسي، المصدر السابق، ص 161.

[3]- انظر الملحق رقم (8).

للعرب- أصحاب منظومات عرفية ومحلية خاصة لا ينطبق عليها النظام الشرعي المطبق على عموم البلاد.

وتضمن الظهير البربري ثمانية فصول نصت على إبعاد البربر من سلطة الحكومة المغربية (المخزن) ومن الشريعة الاسلامية، وذلك من خلال إجراءات عملية جاءت في مضمون هذا الظهير وهي كالآتي:

- الفصل الأول: إن المخالفات التي يرتكبها المغربيون في القبائل ذات العوائد البربرية ينظر فيها وليقع زجرها من طرف رؤساء القبائل.
- الفصل الثاني: إن الدعاوي المدنية أو التجارية أو الدعاوي المختصة بالعقارات والمنقولات وقضايا الأحوال الشخصية تنظر فيها المحاكم العرفية.
- الفصل الثالث: يرفع الاستئناف الى محاكم عرفية استثنائية.
- الفصل الرابع: إن المحاكم الاستئنافية تنظر أيضا في الأمور الجنائية وزجرها.
- الفصل الخامس: تجعل لدى كل محكمة عرفية أو استثنائية مندوب مخزني مفوض من طرف حكومة المراقبة.
- الفصل السادس: إن المحاكم الفرنسية التي تحكم في الأمور الجنائية حسب القواعد الخاصة بها، ولها النظر في زجر الجنايات التي يقع ارتكابها في النواحي البربرية مهما كانت حالة مرتكب الجناية[1].
- الفصل السابع: إن الدعاوي القضائية المتعلقة بالعقارات، إذا كان الطالب أو المطلوب فيها من الأشخاص الراجع أمرهم الى المحاكم الفرنسية تكون من اختصاصات المحاكم الفرنسية المذكورة.

[1]- إسماعيل العربي، "الظهير البربري في المغرب (16 ماي 1930م) وسياسة فرنسا التقسيمية"، المجلة التاريخية الجزائرية،(جامعة محمد بوضياف)، العدد 8، المسيلة، جوان 2018م، ص 175.

- الفصل الثامن: إن جميع القواعد المتعلقة بتنظيم المحاكم العرفية وتركيبها وسير أعمالها تعني بقرارات وزيريه متوالية تصدر بحسب الأحوال وما تقتضيه المصلحة[1].

وقد حرر نص هذا الظهير في **17 ذي الحجة 1348هـ الموافق لـ 16 ماي 1930م**، وقد سجل في الوزارة الكبرى في **17 ذي الحجة الموافق لـ 16 ماي** من نفس السنة وقد اطلع عليه وأذن بنشره في الرباط في **23 ماي 1930م** المقيم العام سان لوسيان[2].

وكقراءة تحليلية يتبين لنا من خلال مضامين بنود الظهير أن فرنسا حاولت من خلاله إبعاد البربر قوميا وتشريعيا وثقافيا عن العرب والدين الاسلامي، تمهيدا لدمجهم في البيئة الثقافية الفرنسية على عكس ما روجت له على أنه فقط إعادة الاختصاص للمحاكم في المناطق البربرية.

✓- أسباب إستصدار الظهير

وللحديث عن أسباب اصدار فرنسا للظهير وجب علينا دراسة أوضاع المغرب في تلك الفترة، ففرنسا استصدرت الظهير البربري في وقت كانت المقاومة قد بلغت اشدها في المناطق الجبلية حيث يدافع المغاربة عن أرضهم وأرض اجدادهم، لذلك رأت فرنسا أن إستصدار الظهير البربري هو السبيل الوحيد للخروج من أزمة المقاومة الشديدة وخاصة من قبل البربر عن طريق هذا الإجراء العملي[3].

وفي هذه الفترة تكون فرنسا قد أتمت مئة عام على احتلال الجزائر وهذا بمثابة انتصار لها ولغرس نفوذها وجب عليها إصدار هذه السياسة والتي بدأت تطبيقها

[1]- إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 176.

[2]- الحاج حسن بوعياد، الحركة الوطنية والظهير البربري، ط1، دار الطباعة الحديثة، الدار البيضاء، 1979م، ص ص 11- 12.

[3]- محمد علي داهش، دراسات في تاريخ المغرب المعاصر، المرجع السابق، ص ص 28- 29.

بالجزائر منذ قرابة قرن من الزمن، وتتخذ لذلك وسائل التفرقة بين العنصرين المشكلين للمغرب ككل ألا وهما العرب والبربر[1].

ولقد ظل الفرنسيون يبحثون عن الوسائل المثلى والتي تهيئ لهم الامتلاك الدائم للشمال الإفريقي ككل وتعميره بمسيحيين من العنصر اللاتيني وبإصدارها للظهير البربري سيصبح المجتمع المغربي مفترسا، وسيرضخ بعدها لفرنسا ولن يشكل عليها ضغوطات ولو من بعض الجوانب وذلك ما تصبوا لتحقيقه عن طريق استخدام هذه الفكرة الشيطانية التي تمزق الوحدة الوطنية[2].

ولعل مايشار إليه هنا أن الفكرة الاستعمارية كانت مبنية على نقطتين:

- فالمنضرون الفرنسيون يرون أن المغرب مغربان، مغرب المخزن أو الدولة ومغرب السيبة وسكان المناطق البدوية ومنها البربر ولم يكونوا خاضعين للدولة أو كما وصفوه بالتمرد لذلك وجب تنظيمهم وإخضاعهم.
- أما الثانية فإن البربر لم يعرفوا من الاسلام إلا إسمه – حسب المنضرين الفرنسيين . لذلك فهم بعيدون عن الاسلام وأقرب للمسيحية ومن السهل العودة بهم الى هذه العقيدة. هذه الذرائع التي افتعلتها فرنسا واعتبرتها سببا ضروريا لإصدار الظهير البربري وأقامت عليها جوهر هذا الأخير[3].

[1]- علال الفاسي، المصدر السابق، ص 163.

[2]- عبد الحميد المرنيسي، المصدر السابق، ص 42.

[3]- عبد الكريم غلاب، تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب من نهاية حرب الريف حتى استرجاع الصحراء، ج1، ط3، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 2010م، ص ص 337- 338.

✓- أهداف و أبعاد الظهير

إن أهداف فرنسا حسب ماجاء في مضمون ظهير **16 ماي 1930م** إعادة إحياء اعراف جاهلية في الإرث وغيره وإقامة محاكم عرفية وإعطاء المحاكم الفرنسية صلاحيات النظر في المسائل القضائية، والتي لا تحكم باسم الملك وإنما تحكم باسم رئيس جمهورية فرنسا، وتصدر الأحكام باللغة الفرنسية والتي بمقتضاها قضي على القانون الاسلامي، فالهدف الرئيسي الأول والأخير هو تقسيم المغاربة والقضاء على الدين الاسلامي تمهيدا لبسط الحكم بالقانون الفرنسي، وإخراج المغاربة من نفوذ السلطان وضمهم لفرنسا، والقضاء على اللغة العربية وعلى الوجود العربي الاسلامي بمناطق القبائل البربرية لإدخالهم الى العائلة الفرنسية لغة ودينا وقانونا[1].

وقد استخلص الشعب المغربي من الظهير البربري ثلاث أهداف وهي:

- فصل قسم من المغاربة المسلمين عن القضاء الشرعي.
- تحويل المسائل القضائية في مناطق البربر الى المحاكم الفرنسية وعد ذلك في نظر المغاربة خطة لتنفيذ سياسة التنصير و إعلان حرب صليبية جديدة.
- تمزيق وحدة السلطة المغربية وهو ما اعتبر خرقا لمعاهدة فاس **1912م**[2].

وبهذا الظهير (المرسوم) تم فصل ثلاثة أخماس سكان المغرب الأقصى عن القوانين التي تصدرعن الحكومة المغربية، والهدف منه خرق أواصر الوحدة المغربية بتجزئتها إلى كتلتين متعارضتين عرب وبربر[3].

[1]- أبو بكر القادري، مذكراتي في الحركة المغربية من 1930م- 1940م، ج1، المصدر السابق، ص ص 48- 49.
[2]- محمد مونيب، الظهير البربري أكبر أكذوبة في تاريخ المغرب المعاصر، دار ابي الرقراق، الرباط، 2002م، ص 5.
[3]- محمود الشرقاوي، المغرب الأقصى مراكش، د ط، مكتبة الانجلو المصرية، د ت، ص 41.

إن الغاية واضحة تمام الوضوح حسب تفسير "ريبو" المنظر للظهير البربري **16 ماي 1930م** وهي إخراج البربر من دائرة الاسلام وفصلهم عقائديا عن بقية إخوانهم سكان المدن ثم إستدراجهم إلى عقيدة الصليب.

وما يفسر ذلك ما جاء في مقولة "دوجيرك دولاسال "التي وردت في مجلة تاريخ البعثات حيث قال: «سنترك المسيحية تؤثر في النفوس البربرية كما أثرت من قبل في نفوسنا من غير أن نساعد عملها بوسائل شديدة ورسمية، ولكن بإفساح المجال لها وعدم تشجيع ما يعاكسها وهذا ما يسهل بغير شك تفكيك عرى الكتلة العربية، وبالتالي القضاء على الاسلام في إفريقيتنا الشمالية، ولفائدة حضارتنا وجنسنا »[1].

كان القصد من إصدار الظهير البربري العمل على هدم دعائم الدين الاسلامي واللغة العربية، كونهما يعدان الدعامتان الأساسيتان اللتان يلتف حولهما كل الشعب المغربي على إختلاف طبقاتهم وأجناسهم وقبائلهم[2].

لقد حاولت فرنسا من خلال الظهير العمل على تفكيك البنية الاجتماعية الموحدة تاريخيا، ومحاولة إقامة كيانات إجتماعية منفصلة، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل سعت الإدارة العامة الفرنسية لتنصير القبائل الأمازيغية وفتح الكنائس، وأوفدت لها جيش من المبشرين (ما يزيد عن ألف شخص) وسارت تعمل على محاربة اللغة العربية والشريعة الاسلامية في مناطق القبائل البربرية، والحرص على إعادة بعث الأعراف والتقاليد الأمازيغية وعملت على فرنسة البربر لغة وثقافة ودينا[3].

[1]- أبو بكر القادري، مذكراتي في الحركة المغربية من 1930م- 1940م، ج1، المصدر السابق، ص 39 .

[2]- عبد الحميد المرنيسي، مرجع سابق، ص 41.

[3]- محمد علي داهش، المغرب العربي المعاصر....، المرجع السابق، ص 47.

وحسب ماروى أبو بكر القادري فإن: «هذا الظهير لا يرمي إلى هدف سياسي فحسب، ولكنه يرمي إلى هدف ديني فالاسلام أصبح مهددا ببلادنا، والمغاربة لا يقبلون أن يمس دينهم... » [1].

وهكذا إتضحت أهداف فرنسا في ظهير سنة **1930م** التي ترمي من ورائه إلى إعادة ترتيب التكوين الإثني (العرقي) المكون لبنية الشعب المغربي، ساعية إلى الفصل بين العنصرين الرئيسيين المكونين للتركيبة الإجتماعية المغربية (البربر والعرب) عرقيا، عقائديا، لغويا وإداريا، وهو ما قوبل بالرفض من طرف الشعب المغربي، حيث كان بمثابة القطرة التي أفاضت الكأس ونقطة التحول في المسار النضالي.

✓- صدى الظهير البربري

1- موقف الشعب المغربي

إن استصدار الظهير البربري في **16 ماي 1930م** أثار موجة من الاحتجاج والمعارضة في المغرب الأقصى وسخطا كبيرا وسط الشعب المغربي لرفضهم القاطع لهذه السياسة الرامية الى تفريق أبناء الوطن الواحد، وكانت هذه المعارضة ممثلة في احتجاجات ومظاهرات فاس وسلا وانتقلت بعدها الى طنجة وتطوان[2]، وقد مقاومة هذه السياسة في معقل من معاقل الاسلام وحصن من حصونه إنه المسجد حيث كان

[1]- أبو بكر القادري، مذكراتي في الحركة المغربية من ،1930م – 1940م، ج1، المصدر السابق، ص 51.

[2]- ألبير عياش، المغرب والاستعمار حصيلة السيطرة الفرنسية، تر: عبد القادر الشاوي ونور الدين سعودي، ط1، دار الخطابي للطباعة والنشر، أفريل 1985م، ص ص 387- 388.

المتظاهرون قد اجتمعوا في المساجد يدعون الله ألا يفرق هذا الشعب عن بعضه البعض[1] وأخذوا يرددون دعاء "يالطيف ألطف بنا فيما جرت به المقادير ولا تفرق بيننا وبين إخواننا البربر"[2].

لقد استيقظ الشعب المغربي كرجل واحد في مواجهة السياسة البربرية وذلك لم يكن في حسبان العدو ونضرا لقوة هذه المعارضة اتبعت فرنسا كعادتها أسلوب القمع والاعتقالات لهذه الحركة وذلك مازاد الشعب اصرارا وقوة في مواجهة فرنسا[3].

وبعد انطلاق الشعب في المظاهرات وقراءة اللطيف في المساجد تطورت هذه المظاهرات الى الخطب والتظاهر في الشوارع، كما احتج الشعب ايضا لدى رجال السلطة بدءا من **20 يونيو 1930م** كما تطورت مظاهرات منظمة وخطب سياسية حماسية ورسائل تستنكر هذه السياسة البربرية التي أريد بها تفرقة أبناء البلد الواحد وذلك ما رفضه الشعب المغربي[4].

[1]- عبد السلام ياسين، حوار مع صديق أمازيغي، ط1، سحب مطبوعات الأفق، الدار البيضاء، المغرب، 1997م، ص 246.

[2]- شكيب أرسلان، لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، 2012م، ص ص 23- 24.

[3]- عبد الله العياشي، "مراحل مقاومة الشعب المغربي للاستعمار"، مجلة الأمل، (مطبعة النجاح الجديدة)، العدد 25-26 السنة التاسعة، المغرب، 2002م، ص 13.

[4]- عبد الحميد المرنيسي، المصدر السابق، ص 45.

لقد كان عبد اللطيف الصبيحي[1] أول من تفطن لخطر هذه السياسة لأنه إطلع عليها قبل أن يتم صدورها في الجريدة الرسمية، حيث استنكرها مع أصدقائه وإخوانه وفي مقدمتهم أعضاء النادي الأدبي الاسلامي فأخذوا على عاتقهم يدعوون لمقاومة هذا الظهير، مما أدى هذا الى حدوث صدامات بينه وبين إخوانه من جهة والسلطات الاستعمارية من جهة أخرى[2].

وقد تطور التفكير من قراءة اللطيف والمظاهرات في الشوارع إلى خطوة أخرى تبرهن دون ادنى شك عن تبلور وعي المغاربة وإحساسهم بخطورة هذه المسالة، فأنشئوا الوفود وامضوا العرائض وتفاوض ممثلوا الرأي العام بفاس مع نائب الجنرال "بيتان" للإفراج عن المواطنين الذين اعتقلتهم سلطات الاستعمار، وفي يوم الاثنين **11 أوت 1930م** قرأت رسالة باسم الملك تدعو إلى الهدوء وعدم اتخاذ مساجد الله للمظاهرات وبالفعل توقفت المظاهرات في **13 أوت 1930م**[3].

ولقد عقد مؤتمر في المجلس البلدي بمدينة فاس حيث تشكل وفد من العلماء والأعيان والشباب وقدموا عريضة إلى السلطان تحتوي على المطالب التالية:

1- إلغاء كل التشريعات المتعلقة بالظهير البربري.

2- توحيد التشريع والإدارة في البلاد.

[1]- عبد اللطيف الصبيحي: ولد بسلا سنة 1897م، درس الحقوق ونال شهادة الدبلوم العربي وأصبح موظفا في إدارة الشؤون الشريفة بالمغرب الأقصى، عزل من وظيفته اثر قيامه بالوقوف ضد الظهير البربري، توفي سنة 1965م.
انظر: أبو بكر القادري، المصدر السابق، ص 50.

[2]- أبو بكر القادري، المصدر السابق، ص 50.

[3]- عبد الكريم غلاب، تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب...، المصدر السابق، ص ص 69- 71.

3- تركيز جميع السلطات في يد السلطان وحكومته[1].

2- موقف البربر

لقد رأى البربر أن هذا الظهير إعتداء صارخ على دينهم وشريعتهم ومعتقداتهم، فعارضوه بقوة وصلابة[2]، ونتيجة لذلك حدثت العديد من الثورات لمناهضة الظهير البربري في كل من آية حمو بإقليم وجدة وكذلك في الأطلس الكبير ومراكش وغيرها من المناطق...[3]

ولعل أبرز موقف تجمع الحشود البربرية أمام مقر الإقامة العامة التي أقامتها وإعلانهم تمسكهم بالدين الاسلامي وبتطبيق الشريعة الاسلامية، ليرسلوا كذلك وفد إلى محمد الخامس يطالبون بإرسال القضاة الشرعيين و اقامة المحاكم الشرعية بل عملوا على مقاطعة البضائع الفرنسية، ونتيجة لهذا تعرض البربر لحملات قمع وإعتقال واضطهاد وصلت إلى **4000** رجل إلا أن المقاومة لم تتوقف وواصلت قيامها ضد السياسة البربرية خاصة وضد الاستعمار عامة[4].

3- موقف السلطان المغربي

لقد عارض المولى يوسف هذه السياسة البربرية عندما أعلن رفضه للمشروع الذي قدمه إليه المارشال "ليوتي" والمتعلق بتنظيم بيع العقارات في الأقاليم البربرية

[1]- علال الفاسي، محاضرات في المغرب العربي منذ الحرب العالمية الأولى، معهد الدراسات العربية العالمية، دم، 1955م، ص 116.

[2]- أكرم بوجمعة، محمد عبد الكريم خطابي ودوره في تحرير أقطار المغرب العربي (تونس، الجزائر، المغرب الأقصى)، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه في تاريخ المغرب الحديث والمعاصر، منشورة جامعة بوبكر بلقايد، تلمسان، 2016م-2017م، ص 191.

[3]- أحمد بن نعمان ، فرنسا و الأطروحة البربرية، شركة دار الأمة للطباعة والترجمة والنشر والتوزيع ، الجزائر، 1990م، ص 30.

[4]- أكرم بوجمعة، المرجع السابق، ص ص 191- 192.

وهذا يتضح من خلال قول السلطان لوزيره الأول: «وكل قبيلة دخلت في طاعة الدول المغربية يجب أن تكون خاضعة للشرع الاسلامي كباقي أطراف المملكة الشريفة » ، ولقد بقي المولى يوسف متحفظ كل التحفظ من تطبيق تلك السياسة البربرية وفي هذا الشأن يقول "ريبو" متحدثا عن الرسالة التي كتبها للحكومة الفرنسية: «إن السلطان بصفته رئسيا روحيا للدين السماوي لا يمكنه أن يصدر نصا رسميا ولا حكما قاطعا يهدم القانون الاسلامي وطعن نفوذه الخاص كإمام ... إن هذه المسألة في نظره مسألة إمتياز شخصي أمام أعين رعاياه والمسألة عاطفية دينية مرتبط بها تمام الارتباط لا يقبل بها معارضة ولا تساهل[1] ».

ومن هنا يتضح أن السلطان المغربي كان شديد الحرص على إبقاء القبائل البربرية في دائرة القضاء الشرعي وكذلك عدم إتخاذ أي إجراء يمس بالشريعة الاسلامية أو يخرج البربر من دائرة الاسلام، وهذا ما جعل سلطات الحماية تستغل وفاة المولى يوسف و تعين محمد خامس خليفة له لتنفيذ أخطر وآخر جزء من السياسة البربرية -الظهير البربري- حيث أن المقيم العام أراد شريعة إصدار الظهير البربري وذلك حرصا على مواقفه السلطان الذي كان يجهل خطر هذا الظهير وأبعاده[2].

حيث أن السلطان لم يدرك خطر هذه السياسة إلا بعد الحركة الإحتجاجية وإستقبال وفد فاس وغيرها من الوفود ليظهر السلطان تأثيره الكبير بعد سماع خطاب وفد فاس وقد اعتبر علال الفاسي تأثر السلطان أنه وعد بدراسة مطالب وإبقاء الوفد

[1]- أبو بكر القادري، المصدر السابق ، ص 41.

[2]- محمد حواس، الحركة الوطنية المغربية في المنطقة السلطانية مقاربة مضامين 1930م-1951م، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه في تاريخ المغرب الحديث والمعاصر، منشورة أبو القاسم سعد الله، جامعة الجزائر2، 2016م-2017م، ص 242.

في الرباط بضعة أيام حيث كان محل تكريم من طرف السكان قبل أن تجبره سلطة الحماية بالرجوع إلى فاس[1].

وقد أصيب السلطان بذهول كبير من خلال ما سمعه من الوفد حول خطر السياسة البربرية على وحدة المغرب وحتى نفوذ السلطان، ومن هنا أصبح السلطان محمد الخامس لا يثق بالإدارة الفرنسية وكذلك أكثر تحفظا عن أي مشروع تقترحه عليه سلطة الحماية، وهذا التأثير سيكون له أثر في مستقبل الحركة الوطنية[2].

✓- **موقف فرنسا**

لقد جاء في جريدة "الطان" الفرنسية مقال بتاريخ **21 ماي 1930م** متحدثة فيه عن الظهير البربري بما يلي: «أنه عمل عظيم يجدر أن تهنأ عليه فرنسا ولقد تخلصت القبائل البربرية من سلطة الشريعة الاسلامية » ، ثم جاء مقال آخر بأن الظهير البربري لسلطة الفرنسية طرد الشريعة الاسلامية، وبه تم طرد السلطة المخزنية وهذا هو أساس السياسة البربرية[3].

فحين تميز الموقف الفرنسي من الظهير البربري بالازدواجية ويظهر ذلك من خلال ما تعاملت معه سلطة الحماية، فالموقف الذي إعتمدت عليه فرنسا في الأول ألا وهو الأساسي وذلك سعيا منها لإعطاء الشرعية لهذا القانون، وبالإضافة إلى إلهام الرأي العام المغربي والاسلامي وكسب وده، أما الأسلوب أو السياسة الثانية التي انتهجتها

[1]- علال الفاسي ، الحركات الاستقلالية...، المصدر السابق، ص 147.

[2]- محمد الحواس، المرجع السابق، ص 252.

[3]- أبو بكر القادري ، المصدر السابق، ص 87.

فرنسا ألا وهي الأسلوب العسكري من خلال قمع الحركات الإحتجاجية والإعتقالات التي عقبت صدور الظهير[1].

فالمنهج الأول يتجلى من خلال أنها نسبت هذا المرسوم إلى السلطان وذلك لتبرئة نفسها من أي إتهامات تتعرض لها من العالم الاسلامي، كما أنه يقتضي هذا القرار بإشراك كل من السلطان وفرنسا في تحقيق العدالة للقبائل البربرية، بالإضافة إلى إعطاء هذه القبائل التعامل بنظامهم الخاص.

وأكدت الإدارة الفرنسية أن السلطان نفسه لا يرى في هذا الظهير إعتداءا على سلطته الروحية، لأن كل من القرارات التي سوف تصدر باسمه وكذلك أن القضاة يتم تعينهم من طرفه وأن الأعراف البربرية ظلت محترمة من قبل السلاطين الأوائل، وأضافت سلطة الحماية أنها سمحت للطلبة والفقهاء العاملين بالمناطق ذات أعراف بربرية و المشايخ كذلك بالدخول إلى هذه القبائل[2].

وبقدر إنتهاج سلطة الحماية للأسلوب السياسي كذلك إعتمدت على الأسلوب العسكري الاضطهادي لقمع انتفاضة سكان المغرب ضد هذا الظهير[3]، واتباعها سياسة الاعتقالات والسجن مع المحتجين المغاربة حيث أقالت عبد اللطيف الصبيحي من وظيفته إلى مراكش بإعتباره أول محرك لحركة الإحتجاجات ضد ظهير **16 ماي 1930م**، كما تم نفي وسجن كل من علال الفاسي و محمد الحسن الوزاني وعبد العزيز إدريس والهاشمي فيلالي وغيرهم، ليلزموا الفقيه بن القريشي للإقامة في بيته. ولم تكفى

[1]- فاتح بوفاريك ، الظهير البربري في المغرب الأقصى من خلال مجلة منار، 1930م- 1934م، أطروحة لنيل شهادة الماجستير، منشورة جامعة الجزائر2، 2010م- 2011م، ص 94.

[2]- نفسه ، ص ص 95- 97.

[3]- نفسه ، ص 98.

فرنسا بهذه الاجراءات حيث أن القبائل البربرية لم تسلم من هذا القمع وقامت بسجن وفودها الذي طالب من السلطان إقامة المحاكم الشرعية، وقد أجبرت مسؤوليهم على كتابة رسائل إمتنان للسلطات الفرنسية، كما قامت بإرسال الجواسيس لنقل نشاط الحركة الوطنية المتزايد، بل وصل بها الأمر لمنع الدروس الدينية التي كان يلقيها كل من علال الفاسي وغيره[1]، وقد عملت على منع دخول العديد من الصحف إلى المغرب مثل جريدة "الفتح"، وعهدت على توقيف "جريدة عمل الشعب" مدعية بأنها تمس بسلطة الحماية، في حين تعرضت قبائل آيت حمو نواحي تافيلات وفي قبائل الأطلس للإظطهاد كما هو الحال بالنسبة لقبائل الرحامتة التي استشهد فيها عشرون نتيجة القمع الفرنسي[2].

ولقد كان للعديد من الفرنسيين الأحرار دورا مهم في دعم القضية البربرية خاصة بعد الإطلاع على تقرير من طرف الطلبة المغاربة المقيمين بفرنسا، وكذلك حول كتابات شكيب أرسلان الذي كانت له علاقة وثيقة مع بعضهم أمثال جان لوكي وغيره حيث نجد أن النائب الفرنسي جان لوكي المسؤول عن مجلة "مغرب " ، من الذين انتقدوا السياسة البربرية، كما نجد أن "جريدة لوكري ماروكان" التي تصدر بالدار البيضاء نشرت العديد من المقالات الهامة حول السياسة البربرية حيث جاء في أحد مقالاتها ما يلي :أن الظهير البربري سعى زرع الفتنة والانشقاق بين المغاربة وأن لهم حق إقامة

[1]- أبو بكر القادري ، المصدر السابق ، ص 120.

[2]- فاتح بوفارك ، المرجع السابق ، ص ص 98- 99.

المظاهرات وغيرها ليتم القضاء على سياسة التنصير التي ترمي إليها سلطة الحماية ورجالها[1].

ومع تزايد الضغط وحركة الإحتجاج ضد ظهير **16 ماي 1930م** جعل الفرنسيون يشعرون بأخطار السياسة نتيجة إصدار هذا الظهير مما جعل سلطة الحماية تتراجع عن قرار تأسيس الإدارة العدلية البربرية، كما قرروا تعديل بعض بنود الظهير فتراجعوا عن إلحاق المناطق البربرية بالمحاكم الفرنسية فيما يتعلق بالأمور الجنائية. إلا أن سلطة الحماية لم تتخلى عن إقامة المحاكم العرفية و الابتدائية والاستئنائية في المناطق البربرية[2].

[1]- زاكي مبارك المخلوفي محمد الصغير، الظهير البربري من خلال مذكرات صالح لعبيدي، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1993م، ص 35.

[2]- عبد الحميد إحساين، سياسة فرنسا البربرية بالمغرب 1913م- 1930م المقاومة المغربية ضد الاستعمار جذور وتجليات، هلال العربية، الرباط، 1997م، ص 187.

خلاصة الفصل

أستنتج في الأخير من خلال ما درست أن الظهير البربري **16 ماي 1930م** يعتبر انعكاسا خلفته الاحتفالات بالذكرى المأوية لاحتلال فرنسا للجزائر بالمغرب، حيث ظهرت نتائجها في الخطورة التي شكلتها السياسة البربرية لفرنسا بالمغرب الأقصى من خلال الأظهرة البربرية القائمة على تجزئة المجتمع المغربي، والتي حاولت من خلالها غرس نفوذها بالمنطقة وخطوة تسعى من ورائها الى الامتلاك الدائم لإفريقيا الشمالية. وبعد فشل فرنسا في مسخ الهوية الاسلامية وفق المخططات الاستشراقية لجأت الى سياسة فرق تسد المترجمة في الظهائر المتعددة ومن أشهرها ظهير **16 ماي 1930م**، إن هذا الأخير ما هو إلا جزء من السياسة الاستعمارية الفرنسية المتبعة قصد إخضاع الشعب المغربي.

بإصدار فرنسا للظهير البربري سنة 1930م، ظهرت نواياها الحقيقية اتجاه المجتمع المغربي الذي استهدفت نسيجه بمحاولة تفكيكه وإضعافه، وزرع التفرقة بين عناصره ومكوناته، وهو ما يتنافى مع مضمون معاهدة الحماية التي لم تلتزم بها فرنسا. ولقد حاول الظهير البربري أن يكون حدا فاصلا بين البربر والعرب من جهة، وبين الشرع والعرف من جهة أخرى، من خلال سعي فرنسا عن طريق تفكيك بنية المغرب الأقصى وتفرقة أبنائه، وكان وسيلة من وسائلها وألعوبة من ألاعيبها التي تبرع في تطبيقها للوصول الى مبتغاها والظهور بمظهر مشرف في أعين أعدائها وحلفائها. واعتمد هذا الظهير على العنصرية، والتفرقة والتآمر على الاسلام والوطن، ويعتبر هذا الظهير قضية سياسية وفكرية تاريخية باعتباره إطارا مرجعيا ايدولوجيا.

لقد قوبل الظهير البربري **16 ماي 1930م**، بموجة غضب جماهيرية من سنة **1930م- 1934م** تمثلت في الاحتشادات، المظاهرات والتجمعات في المساجد وإلقاء

المحاضرات والدروس التوعوية التي نتجت عنها تعبئة جماهيرية وبعث للروح الوطنية التي سقلتها تطورات الوضع في الداخل والخارج، ولم يمر دون رد إنما خضع لمقاومة شديدة سواء من المجتمع المغربي والمتمثل في العرب أو البربر، أو من طرف الملك الذي كان موقفه مشرفا من هذه السياسة.

لقد كان الظهير البربري سنة **1930م** نعمة على الشعب المغربي عكس النظرة الفرنسية التي أرادت بث التفرقة من خلاله والتمييز بين عناصره، فبإصداره بزغ فجر جديد في مسار الحركة النضالية حيث عد الانطلاقة الفعلية للعمل السياسي بقيادة نخبة مثقفة وهيكلة تنظيمية للحركة الوطنية(شعب وفروع) اسهمت في ظهور الحركة النضالية في شكل منظم أكثر، وتأسيس أحزاب وطنية تبنت مطالب الشعب المغربي وناضلت من أجل استقلاله.

خاتمـــــة

خاتمـــة

بعد دراستي لموضوع ذكرى الاحتفالات المئوية الفرنسية في الجزائر وانعكاساتها على تونس والمغرب الأقصى، ظهر لي مدى حقد الفرنسيون للعروبة والاسلام والمسلمين في الجزائر وتونس والمغرب الأقصى، حيث خلصت لعدة نتائج ينبغي أن أذكر منها:

- إن الاحتفالات المئوية الصاخبة لاحتلال فرنسا للجزائر قد حملت ذكرى أليمة في نفوس الجزائريين، ذكرى مرور قرن بأكمله على اغتصاب المستعمرين لأرض الجزائر، حيث خصصت لها فرنسا إمكانات ضخمة ودعت لها العالم، تظهر من خلالها مدى عظمة فرنسا وسيطرتها على الجزائر أو " المستعمرة الهادئة " كما كانت تصفها دائما. وقد ساد هذا الاحتفال في الجزائر العنصرية الحاقدة والإمعان في إهانة و ذل الجزائريين، وإثارة عواطفهم الوطنية والدينية، وإن ذلك يدل على طبيعة فرنسا الاستعمارية في فرض وتجسيد فكرة الجزائر الفرنسية والتمسك بها .
- الاحتفالات المئوية أو احتفالات العار كما وصفها البعض اهتمت فرنسا بها إهتماما بالغا وعملت على تجسيدها على أرض الواقع، وذلك بتوفير الإمكانيات المادية والبشرية للإعداد لها ويتضح جليا عزم فرنسا على إحياء هذه المناسبة وذلك بطرح الفكرة قبل 1930م اي منذ 1927م، من خلال التحضيرات الأولية والنهائية وأهم المحطات التي مرت بها هذه الاحتفالات يمكن أن نلاحظ أنها كانت تحمل جملة من الأبعاد والدلالات التي أرادت من خلالها فرنسا إخضاع الشعب الجزائري و زرع فكرة أن فرنسا لا تقهر وذلك يعتبر حرب نفسية من أجل استسلام الشعب، كما أن

خاتمـــــة

فرنسا عمدت إلى إظهار مدى قوتها وسيطرت آلياتها في تسيير الجزائر بلدا وشعبا للعالم كله .

- لقد كانت هذه الاحتفالات بالنسبة للمستوطنين والادارة الفرنسية احتفالا بفوزهم على الشعب الجزائري حسب ظنهم الذي خابت امالهم، حيث كانوا يطمحون لبداية جديدة تقضي على العنصرية وتمنحهم بعض الحقوق، إلا أن فرنسا ومن خلال تنظيمها لهذه الاحتفالات أكدت للشعب أنه لا مجال للانتظار لكي تمنحهم فرنسا حقوقهم، ويمكن القول ان الاحتفالات ورغم ما تحمله من استفزازات إلا أنها عملت على توعية الشعب الجزائري والأحزاب الوطنية والتطلع الى مستقبل جديد ومشرق.
- إن الشعب التونسي رفض الاستعمار منذ الوهلة الأولى وقاومه وذلك بداية بالكفاح المسلح ونتيجة لفشل هذا الكفاح رأو أنه لابد من تغيير الأسلوب لعلهم يحققون هدفهم فتوجهوا إلى العمل الاصلاحي الذي كان مبني على الجمعيات والنوادي ليتحول هذا النضال إلى سياسي يطالب بحقوقه في شكل أحزاب كالحزب الدستوري الحر ونوادي قانونية.
- لقد تجذر النشاط التونسي منذ الوهلة الاولى التي فرض فيها التواجد الفرنسي نفسه على ارض الوطن، حيث كان له رد فعل قوي بالرغم من أنها كانت في بداية مراحلها الاولى، ولقد كان الوعي القومي المتنامي لدى التونسيون بحقهم في الكرامة من خلال كفاحهم للتخلص من قيود الاستعمار واستعدادهم للتضحية في سبيل ذلك.
- لقد أدى الحزب الدستوري التونسي الذي تأسس عام **1920م** دورا تاريخيا في تاريخ تونس المعاصر وحركات التحرر الوطني، ويعود سبب هذا الى إلتفاف الشعب التونسي حوله، ورغم قيام السلطات الاستعمارية بتضييق الخناق على أعضاء

خاتمـــــة

الحزب الدستوري الحر الجديد ونفيهم إلا أن ذلك لم يمنعهم من مواصلة نشاطهم والمطالبة بالاستقلال.

- لقد كان هدف سلطات الحماية والكنيسة في انتصار المسيحية وسيطرتها على البلاد التونسية أكثر من ذلك أن هذه التظاهرات والاستعراض الذي رافق المناسبة هدفه العمل على زعزعة عقيدة التونسيين لاستمالهم عن الاسلام والدخول بهم الى المسيحية من خلال أعمال التبشير.
- يعتبر المؤتمر الافخارستي انعكاسا للاحتفالات بالذكرى المأوية لاحتلال فرنسا للجزائر على تونس، وهو تظاهرة دينية مسيحية قامت بها فرنسا من أجل تنصير شمال إفريقيا، وذلك من خلال طمس كل المقومات من هوية واسلام ولغة للشعب التونسي، ولقد كان التبشير الديني ونشر المسيحية لخير دليل على إقامة هذا المحفل الديني الذي أثبت تحالف متين وتعاون وثيق بين السلطات الاستعمارية والكنيسة الكاثوليكية بنية تنصير التونسيين وإعادتهم الى ديانتهم القديمة.
- لقد كان هدف السياسة الاستعمارية الفرنسية من خلال هذا المحفل الديني اصطباغ الاستعمار بالمسيحية كتمهيد الطريق لها بإضعاف شأن الاسلام والقضاء على لغة الاسلام ولغة الدين.
- لقد شكل المؤتمر الافخارستي دافعا مهما لتوحيد الصف التونسي بمختلف مكوناته وشرائحه الاجتماعية ضد السياسة الاستعمارية المتبعة في تونس، سيتم الاستفادة منها في مواقف لاحقة لخدمة القضية التونسية.
- أما بالنسبة لتداعيات التي خلفتها الاحتفالات بالذكرى المأوية لاحتلال الجزائر بالمغرب الاقصى فقد ظهرت نتائجها في الخطورة التي شكلتها السياسة البربرية لفرنسا بالمغرب الأقصى من خلال الأظهرة البربرية القائمة على تجزئة المجتمع

خاتمـــــة

المغربي، والتي حاولت من خلالها غرس نفوذها بالمنطقة وخطوة تسعى من ورائها الى الامتلاك الدائم لإفريقيا الشمالية.

- بعد فشل فرنسا في مسخ الهوية الاسلامية وفق المخططات الاستشراقية لجأت الى سياسة فرق تسد المترجمة في الظهائر المتعددة ومن أشهرها ظهير **16 ماي 1930م**، إن هذا الأخير ما هو إلا جزء من السياسة الاستعمارية الفرنسية المتبعة قصد إخضاع الشعب المغربي.
- بإصدار فرنسا للظهير البربري سنة **1930م**، ظهرت نواياها الحقيقية اتجاه المجتمع المغربي الذي استهدفت نسيجه بمحاولة تفكيكه وإضعافه، وزرع التفرقة بين عناصره ومكوناته، وهو ما يتنافى مع مضمون معاهدة الحماية التي لم تلتزم بها فرنسا.
- لقد حاول الظهير البربري أن يكون حدا فاصلا بين البربر والعرب من جهة، وبين الشرع والعرف من جهة أخرى، من خلال سعي فرنسا عن طريق تفكيك بنية المغرب الأقصى وتفرقة أبنائه، وكان وسيلة من وسائلها وألعوبة من ألاعيبها التي تبرع في تطبيقها للوصول الى مبتغاها والظهور بمظهر مشرف في أعين أعدائها وحلفائها.
- اعتمد هذا الظهير على العنصرية، والتفرقة والتآمر على الاسلام والوطن، ويعتبر هذا الظهير قضية سياسية وفكرية تاريخية باعتباره إطارا مرجعيا ايدولوجيا.
- قوبل الظهير البربري **16 ماي 1930م**، بموجة غضب جماهيرية من سنة **1930م-1934م** تمثلت في الاحتشادات، المظاهرات والتجمعات في المساجد وإلقاء المحاضرات والدروس التوعوية التي نتجت عنها تعبئة جماهيرية وبعث للروح الوطنية التي سقلتها تطورات الوضع في الداخل والخارج، ولم يمر دون رد إنما خضع

خاتمـــــة

لمقاومة شديدة سواء من المجتمع المغربي والمتمثل في العرب أو البربر، أو من طرف الملك الذي كان موقفه مشرفا من هذه السياسة.

- لقد كان الظهير البربري سنة **1930م** نعمة على الشعب المغربي عكس النظرة الفرنسية التي أرادت بث التفرقة من خلاله والتمييز بين عناصره، فبإصداره بزغ فجر جديد في مسار الحركة النضالية حيث عد الانطلاقة الفعلية للعمل السياسي بقيادة نخبة مثقفة وهيكلة تنظيمية للحركة الوطنية(شعب وفروع) اسهمت في ظهور الحركة النضالية في شكل منظم أكثر، وتأسيس أحزاب وطنية تبنت مطالب الشعب المغربي وناضلت من أجل إستقلاله.

قائمة الملاحق

الملاحـق

الملحق رقم 1 : خاص بالدعوة لتنظيم حفلات المئوية[1]

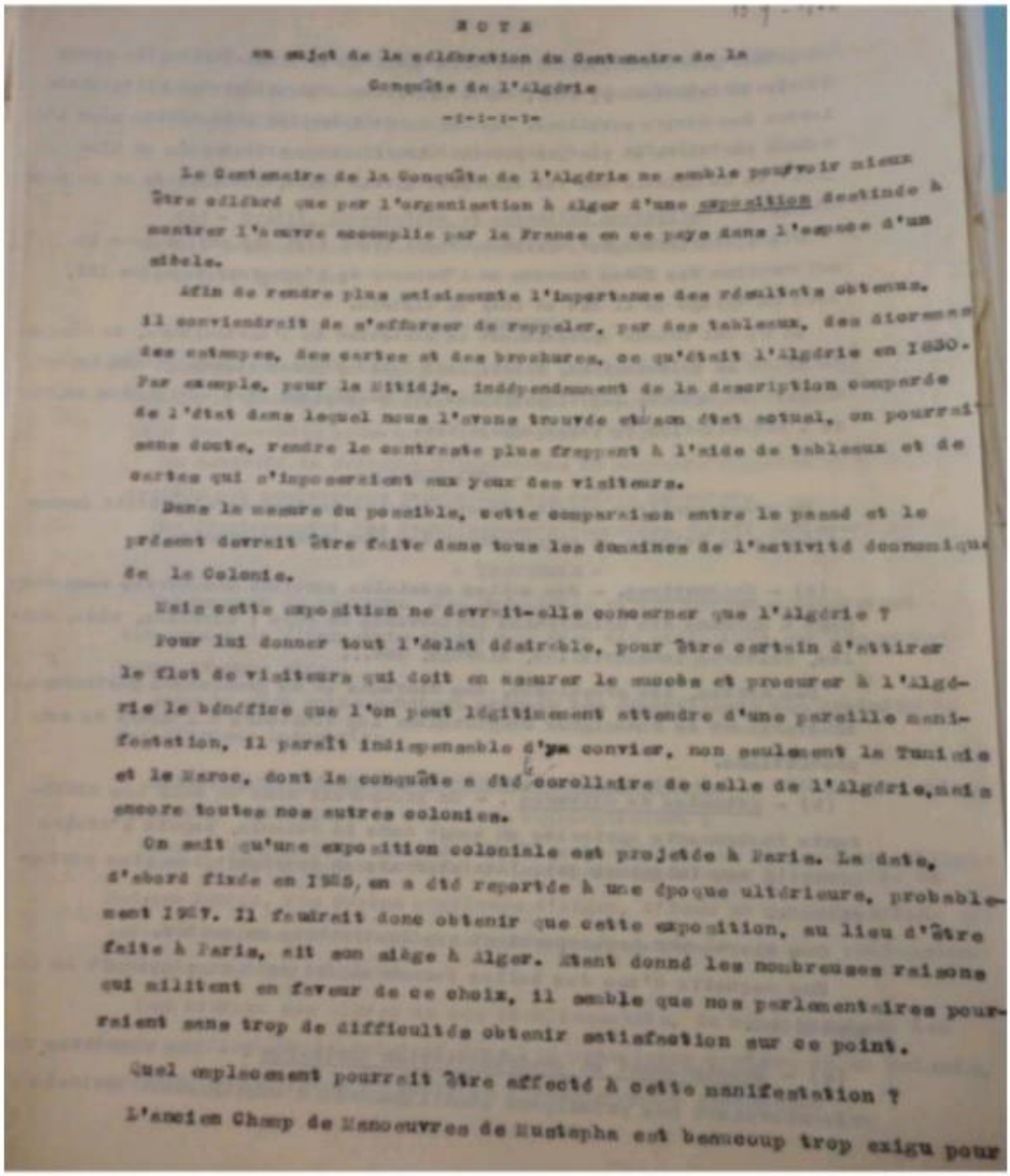

NOTE

en sujet de la célébration du Centenaire de la Conquête de l'Algérie

-i-i-i-i-

Le Centenaire de la Conquête de l'Algérie ne semble pouvoir mieux être célébré que par l'organisation à Alger d'une exposition destinée à montrer l'œuvre accomplie par la France en ce pays dans l'espace d'un siècle.

Afin de rendre plus saisissante l'importance des résultats obtenus, il conviendrait de s'efforcer de rappeler, par des tableaux, des diorama des estampes, des cartes et des brochures, ce qu'était l'Algérie en 1830. Par exemple, pour la Mitidja, indépendamment de la description comparée de l'état dans lequel nous l'avons trouvée et de son état actuel, on pourrait sans doute, rendre le contraste plus frappant à l'aide de tableaux et de cartes qui s'imposeraient aux yeux des visiteurs.

Dans la mesure du possible, cette comparaison entre le passé et le présent devrait être faite dans tous les domaines de l'activité économique de la Colonie.

Mais cette exposition ne devrait-elle concerner que l'Algérie ?

Pour lui donner tout l'éclat désirable, pour être certain d'attirer le flot de visiteurs qui doit en assurer le succès et procurer à l'Algérie le bénéfice que l'on peut légitimement attendre d'une pareille manifestation, il paraît indispensable d'y convier, non seulement la Tunisie et le Maroc, dont la conquête a été corollaire de celle de l'Algérie, mais encore toutes nos autres colonies.

On sait qu'une exposition coloniale est projetée à Paris. La date, d'abord fixée en 1925, en a été reportée à une époque ultérieure, probablement 1927. Il faudrait donc obtenir que cette exposition, au lieu d'être faite à Paris, eût son siège à Alger. Etant donné les nombreuses raisons qui militent en faveur de ce choix, il semble que nos parlementaires pourraient sans trop de difficultés obtenir satisfaction sur ce point.

Quel emplacement pourrait être affecté à cette manifestation ?

L'ancien Champ de Manœuvres de Mustapha est beaucoup trop exigu pour

[1]- محمود علالي، المرجع السابق، ص 284.

الملحق رقم 2: أعضاء المجلس الأعلى للعيد المئوي[1]

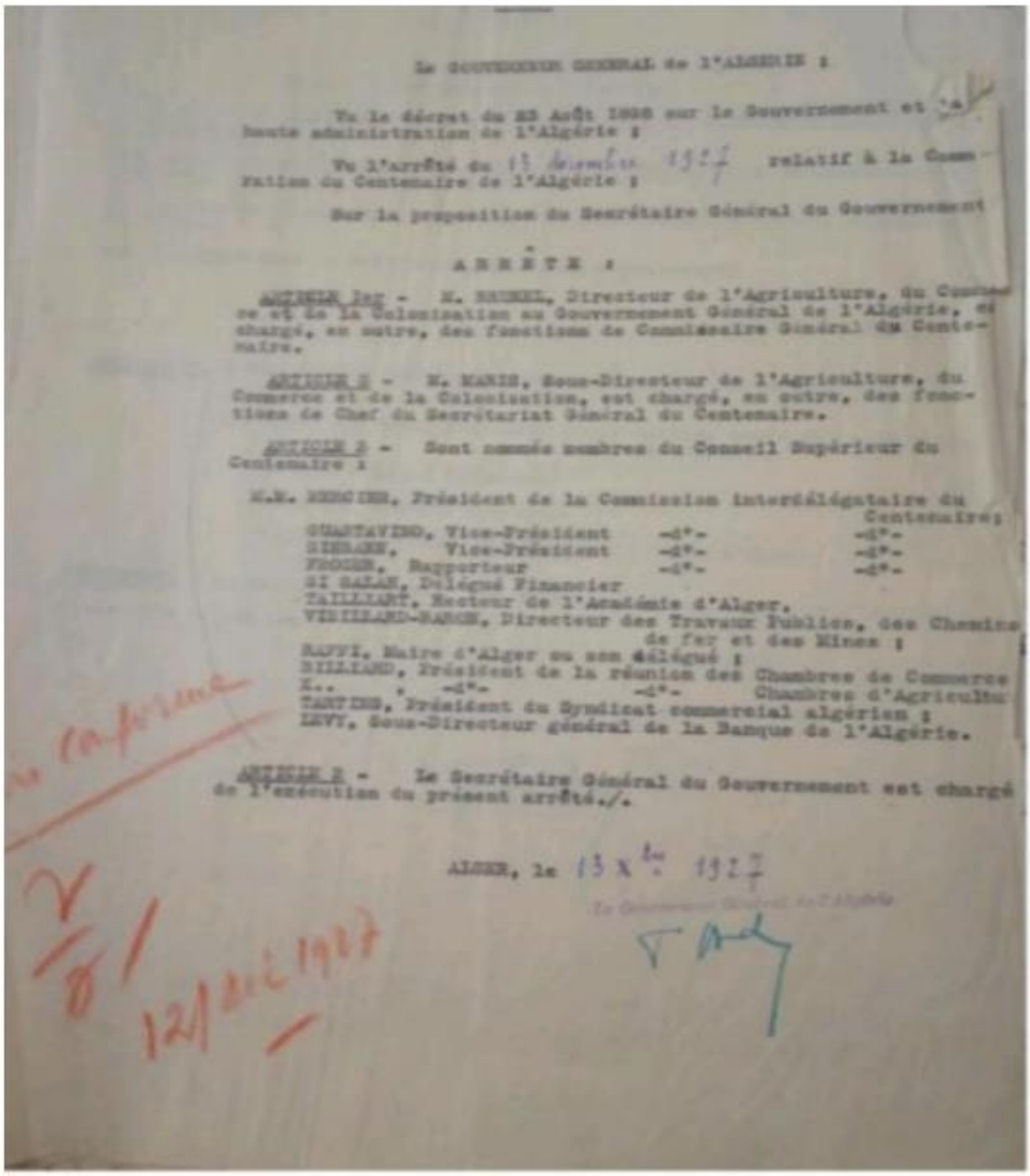

Le GOUVERNEUR GENERAL de l'ALGERIE :

Vu le décret du 23 Août 1898 sur le Gouvernement et l'administration de l'Algérie ;

Vu l'arrêté du 13 décembre 1927 relatif à la Commission du Centenaire de l'Algérie ;

Sur la proposition du Secrétaire Général du Gouvernement

ARRETE :

ARTICLE 1er - M. RAUZIL, Directeur de l'Agriculture, du Commerce et de la Colonisation au Gouvernement Général de l'Algérie, est chargé, en outre, des fonctions de Commissaire Général du Centenaire.

ARTICLE 2 - M. MARIS, Sous-Directeur de l'Agriculture, du Commerce et de la Colonisation, est chargé, en outre, des fonctions de Chef du Secrétariat Général du Centenaire.

ARTICLE 3 - Sont nommés membres du Conseil Supérieur du Centenaire :

M.M. [illegible], Président de la Commission interdélégataire du Centenaire;
GUASTAVINO, Vice-Président -d°- -d°-
SIBRAIRE, Vice-Président -d°- -d°-
FROGER, Rapporteur -d°- -d°-
SI SALAH, Délégué Financier
TAILLIART, Recteur de l'Académie d'Alger.
VERNILLARD-BARON, Directeur des Travaux Publics, des Chemins de fer et des Mines ;
RAUVI, Maire d'Alger ou son délégué ;
BILLIARD, Président de la réunion des Chambres de Commerce
X.. , -d°- -d°- Chambres d'Agriculture
TARTIER, Président du Syndicat commercial algérien ;
LEVY, Sous-Directeur général de la Banque de l'Algérie.

ARTICLE 2 - Le Secrétaire Général du Gouvernement est chargé de l'exécution du présent arrêté./.

ALGER, le 13 X^bre 1927

Le Gouverneur Général de l'Algérie

[1]- محمود علالي، المرجع السابق، ص 364.

الملحق رقم 3: برنامج الاحتفالات المئوية[1]

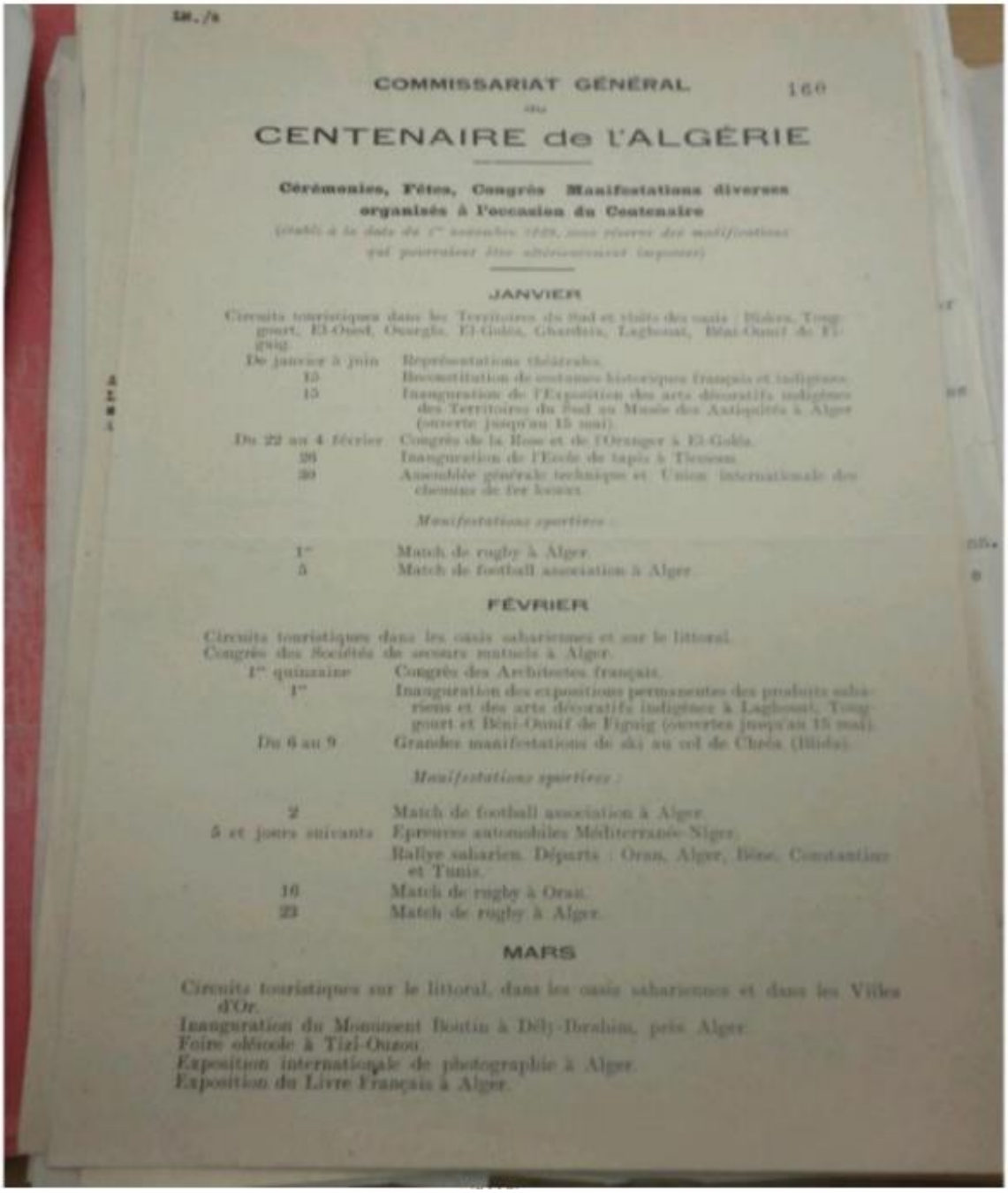

COMMISSARIAT GÉNÉRAL 160
du
CENTENAIRE de l'ALGÉRIE

Cérémonies, Fêtes, Congrès Manifestations diverses organisés à l'occasion du Centenaire

(établi à la date du 1er novembre 1929, sous réserve des modifications qui pourraient être ultérieurement imposées)

JANVIER

Circuits touristiques dans les Territoires du Sud et visite des oasis : Biskra, Touggourt, El-Oued, Ouargla, El-Goléa, Ghardaïa, Laghouat, Béni-Ounif de Figuig.

De janvier à juin	Représentations théâtrales.
15	Reconstitution de costumes historiques français et indigènes.
15	Inauguration de l'Exposition des arts décoratifs indigènes des Territoires du Sud au Musée des Antiquités à Alger (ouverte jusqu'au 15 mai).
Du 22 au 4 février	Congrès de la Rose et de l'Oranger à El-Goléa.
26	Inauguration de l'Ecole de tapis à Tlemcen.
30	Assemblée générale technique et Union internationale des chemins de fer locaux.

Manifestations sportives :

1er	Match de rugby à Alger.
5	Match de football association à Alger.

FÉVRIER

Circuits touristiques dans les oasis sahariennes et sur le littoral.
Congrès des Sociétés de secours mutuels à Alger.

1re quinzaine	Congrès des Architectes français.
1er	Inauguration des expositions permanentes des produits sahariens et des arts décoratifs indigènes à Laghouat, Touggourt et Béni-Ounif de Figuig (ouvertes jusqu'au 15 mai).
Du 6 au 9	Grandes manifestations de ski au col de Chéia (Blida).

Manifestations sportives :

2	Match de football association à Alger.
5 et jours suivants	Epreuves automobiles Méditerranée-Niger.
	Rallye saharien. Départs : Oran, Alger, Bône, Constantine et Tunis.
16	Match de rugby à Oran.
23	Match de rugby à Alger.

MARS

Circuits touristiques sur le littoral, dans les oasis sahariennes et dans les Villes d'Or.
Inauguration du Monument Bontin à Dély-Ibrahim, près Alger.
Foire oléicole à Tizi-Ouzou.
Exposition internationale de photographie à Alger.
Exposition du Livre Français à Alger.

[1]- محمود علالي ،المرجع السابق ، ص 354- 357.

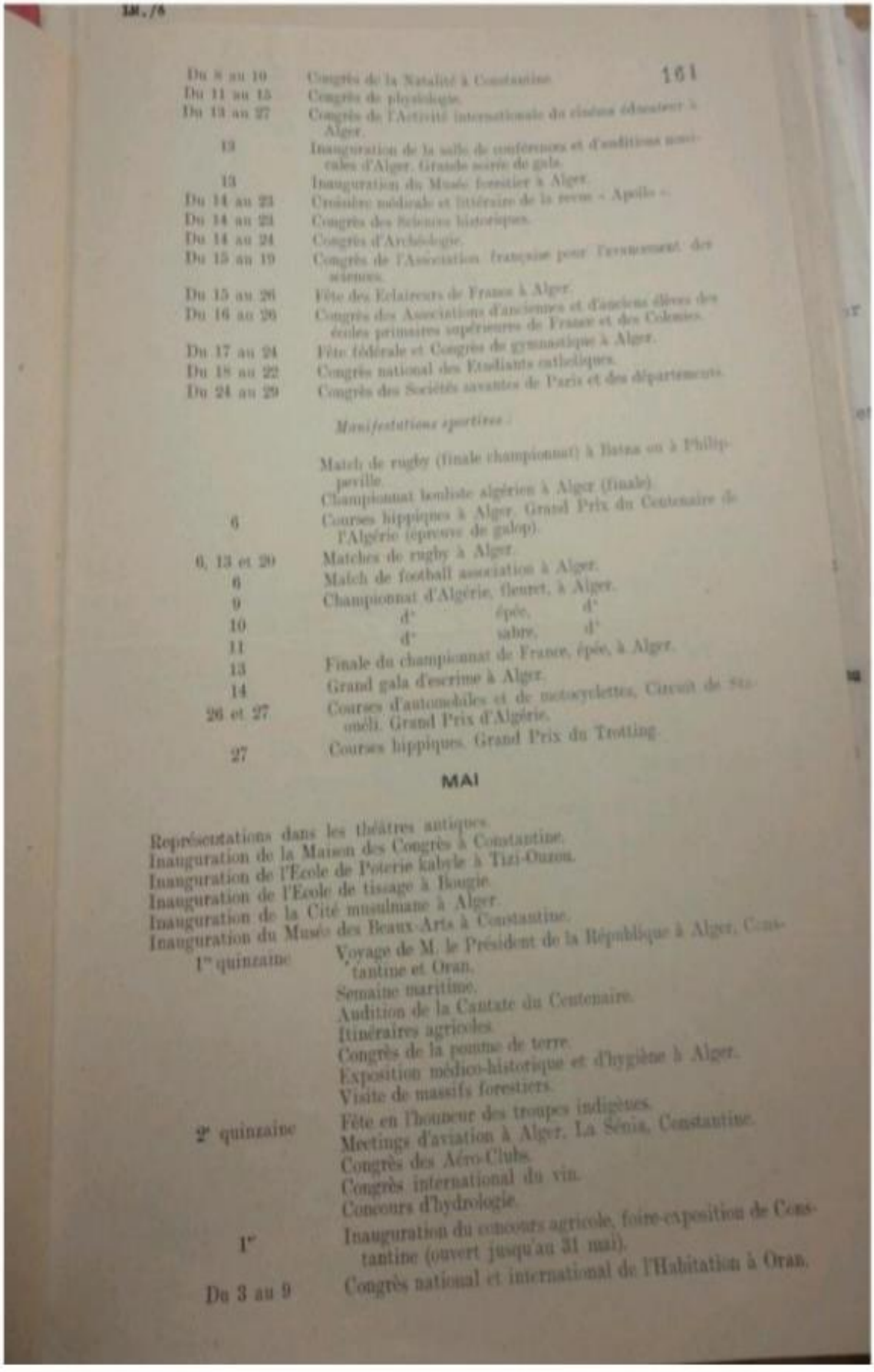

1M./6

161

Du 8 au 10	Congrès de la Natalité à Constantine.
Du 11 au 15	Congrès de physiologie.
Du 13 au 27	Congrès de l'Activité internationale du cinéma éducateur à Alger.
13	Inauguration de la salle de conférences et d'auditions musicales d'Alger. Grande soirée de gala.
13	Inauguration du Musée forestier à Alger.
Du 14 au 23	Croisière médicale et littéraire de la revue « Apollo ».
Du 14 au 23	Congrès des Sciences historiques.
Du 14 au 24	Congrès d'Archéologie.
Du 15 au 19	Congrès de l'Association française pour l'avancement des sciences.
Du 15 au 26	Fête des Eclaireurs de France à Alger.
Du 16 au 26	Congrès des Associations d'anciennes et d'anciens élèves des écoles primaires supérieures de France et des Colonies.
Du 17 au 24	Fête fédérale et Congrès de gymnastique à Alger.
Du 18 au 22	Congrès national des Etudiants catholiques.
Du 24 au 29	Congrès des Sociétés savantes de Paris et des départements.

Manifestations sportives :

Match de rugby (finale championnat) à Batna ou à Philippeville.
Championnat hockeiste algérien à Alger (finale).

6	Courses hippiques à Alger. Grand Prix du Centenaire de l'Algérie (épreuve de galop).
6, 13 et 20	Matches de rugby à Alger.
6	Match de football association à Alger.
9	Championnat d'Algérie, fleuret, à Alger.
10	d° épée, d°
11	d° sabre, d°
13	Finale du championnat de France, épée, à Alger.
14	Grand gala d'escrime à Alger.
26 et 27	Courses d'automobiles et de motocyclettes. Circuit de Staouéli. Grand Prix d'Algérie.
27	Courses hippiques. Grand Prix du Trotting.

MAI

Représentations dans les théâtres antiques.
Inauguration de la Maison des Congrès à Constantine.
Inauguration de l'Ecole de Poterie kabyle à Tizi-Ouzou.
Inauguration de l'Ecole de tissage à Bougie.
Inauguration de la Cité musulmane à Alger.
Inauguration du Musée des Beaux-Arts à Constantine.

1re quinzaine	Voyage de M. le Président de la République à Alger, Constantine et Oran.
	Semaine maritime.
	Audition de la Cantate du Centenaire.
	Itinéraires agricoles.
	Congrès de la pomme de terre.
	Exposition médico-historique et d'hygiène à Alger.
	Visite de massifs forestiers.
2e quinzaine	Fête en l'honneur des troupes indigènes.
	Meetings d'aviation à Alger, La Sénia, Constantine.
	Congrès des Aéro-Clubs.
	Congrès international du vin.
	Concours d'hydrologie.
1er	Inauguration du concours agricole, foire-exposition de Constantine (ouvert jusqu'au 31 mai).
Du 3 au 9	Congrès national et international de l'Habitation à Oran.

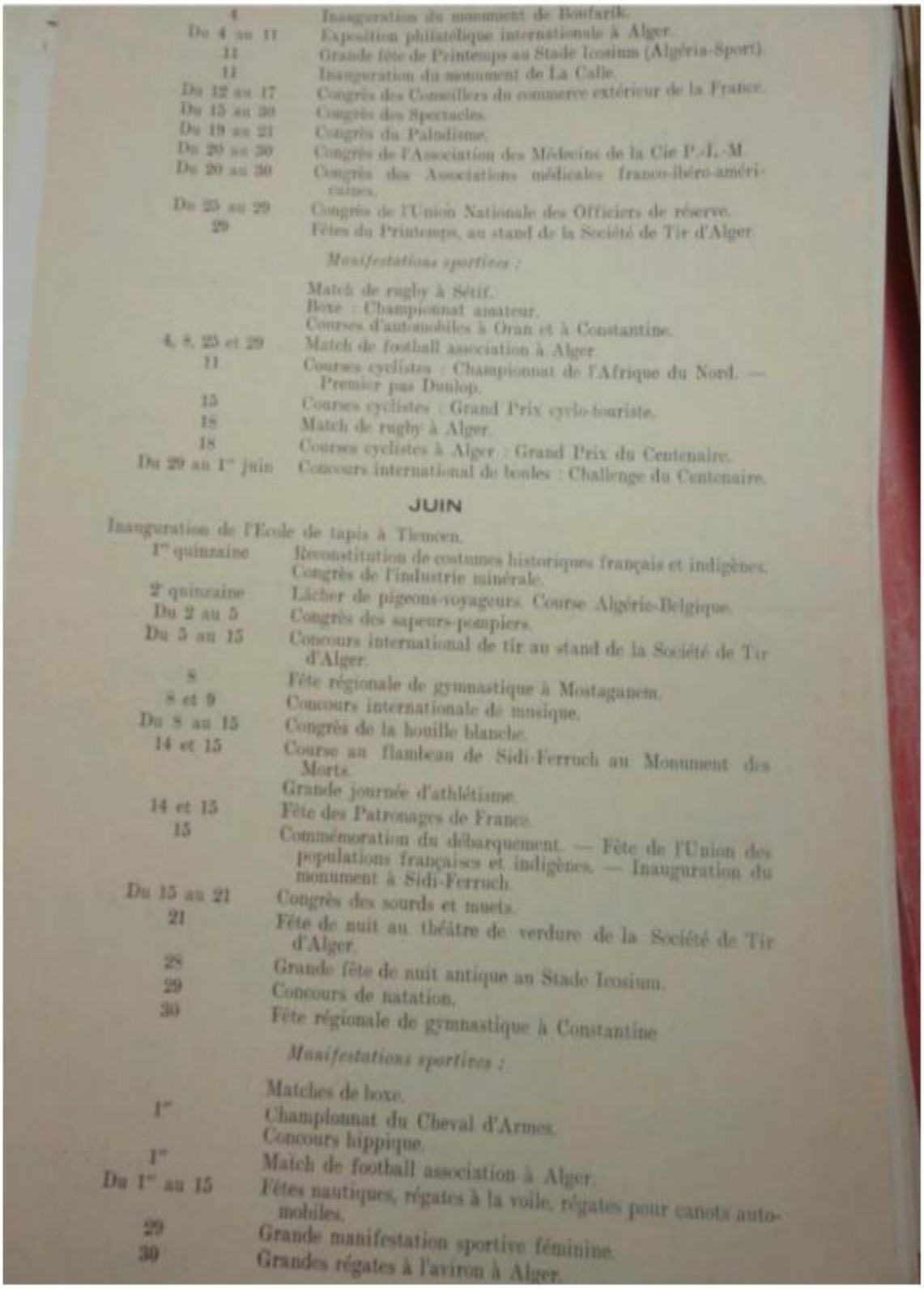

4	Inauguration du monument de Boufarik.
Du 4 au 11	Exposition philatélique internationale à Alger.
11	Grande fête de Printemps au Stade Icosium (Algéria-Sport).
11	Inauguration du monument de La Calle.
Du 12 au 17	Congrès des Conseillers du commerce extérieur de la France.
Du 15 au 30	Congrès des Spectacles.
Du 19 au 21	Congrès du Paludisme.
Du 20 au 30	Congrès de l'Association des Médecins de la Cie P.-L.-M.
Du 20 au 30	Congrès des Associations médicales franco-ibéro-américaines.
Du 25 au 29	Congrès de l'Union Nationale des Officiers de réserve.
29	Fêtes du Printemps, au stand de la Société de Tir d'Alger.
	Manifestations sportives :
	Match de rugby à Sétif.
	Boxe : Championnat amateur.
	Courses d'automobiles à Oran et à Constantine.
4, 8, 25 et 29	Match de football association à Alger.
11	Courses cyclistes : Championnat de l'Afrique du Nord. — Premier pas Dunlop.
15	Courses cyclistes : Grand Prix cyclo-touriste.
18	Match de rugby à Alger.
18	Courses cyclistes à Alger : Grand Prix du Centenaire.
Du 29 au 1er juin	Concours international de boules : Challenge du Centenaire.

JUIN

Inauguration de l'Ecole de tapis à Tlemcen.	
1re quinzaine	Reconstitution de costumes historiques français et indigènes.
	Congrès de l'industrie minérale.
2e quinzaine	Lâcher de pigeons-voyageurs. Course Algérie-Belgique.
Du 2 au 5	Congrès des sapeurs-pompiers.
Du 5 au 15	Concours international de tir au stand de la Société de Tir d'Alger.
8	Fête régionale de gymnastique à Mostaganem.
8 et 9	Concours internationale de musique.
Du 8 au 15	Congrès de la houille blanche.
14 et 15	Course au flambeau de Sidi-Ferruch au Monument des Morts.
	Grande journée d'athlétisme.
14 et 15	Fête des Patronages de France.
15	Commémoration du débarquement. — Fête de l'Union des populations françaises et indigènes. — Inauguration du monument à Sidi-Ferruch.
Du 15 au 21	Congrès des sourds et muets.
21	Fête de nuit au théâtre de verdure de la Société de Tir d'Alger.
28	Grande fête de nuit antique au Stade Icosium.
29	Concours de natation.
30	Fête régionale de gymnastique à Constantine.
	Manifestations sportives :
	Matches de boxe.
1er	Championnat du Cheval d'Armes.
	Concours hippique.
1er	Match de football association à Alger.
Du 1er au 15	Fêtes nautiques, régates à la voile, régates pour canots automobiles.
29	Grande manifestation sportive féminine.
30	Grandes régates à l'aviron à Alger.

الملحق رقم 4: نداء الى أهل قسنطينة لاستقبال الرئيس الفرنسي[1]

رسالة العاصمة

تلغرافات (النجاح) الخصوصية

حوادث داخلية

قدموا مطالكم

[1]- عبد الحفيظ الهاشمي، نداء مورينو، جريدة النجاح ، العدد931، الاربعاء 1930/05/07م، ص 2.

الملحق رقم 5: تمثال الجنرال لاموسيير الذي استسلم له الامير عبدالقادر[1]

[1]- سهام بعيجي، المرجع السابق، ص 90.

الملحق رقم 6: صورة تمثل الوفد الثاني[1] وفد ماذا؟

[1]- خليفة شاطر وآخرون، المرجع السابق، ص 88.

الملحق رقم 7: اجتماع الوفود المشاركة في المؤتمر الافخرستي[1]

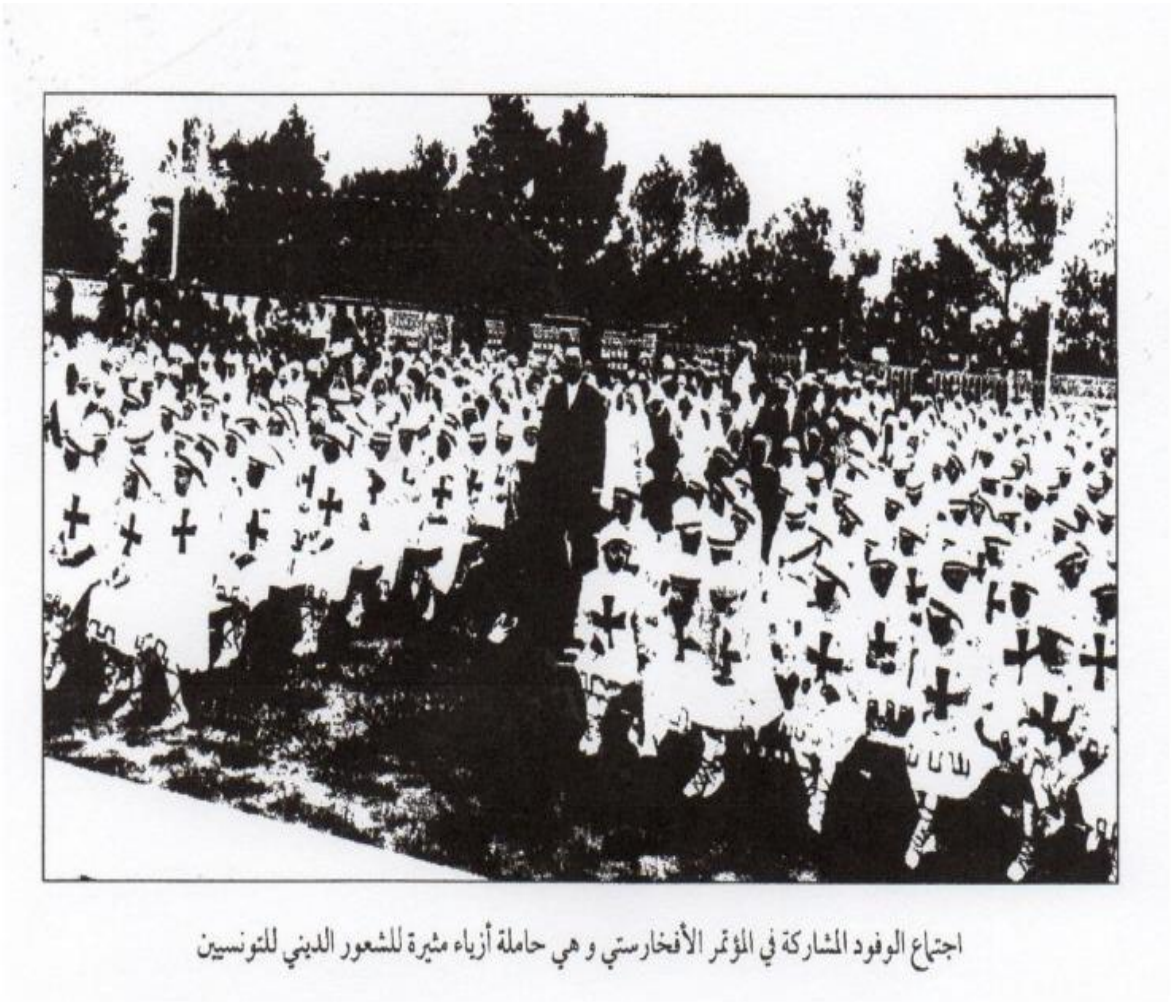

اجتماع الوفود المشاركة في المؤتمر الأفخارستي و هي حاملة أزياء مثيرة للشعور الديني للتونسيين

[1]- خليفة شاطر وآخرون، المرجع السابق، ص 96.

الملحق رقم 8: نص الظهير البربري 16 ماي 1930م[1]

[1]- خديجة خدير وشهرزاد حمدي، الظهير البربري وانعكاساته على النضال السياسي في المغرب 1930م- 1956م، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي المعاصر، جامعة احمد دراية، ادرار، 2019م- 2020م، ص ص 60- 61.

قائمـــة

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أولا: الكتب

- **المصادر بالعربية:**

- آجرون شارل روبير ، تاريخ الجزائر المعاصر من انتفاضة 1871م الى اندلاع حرب التحرير 1954م، ط1، مجلد2، تر: عياش فاطمي وآخرون، شركة دار الأمة، الجزائر، 2008م.
- بوضرساية بوعزة، سياسة فرنسا البربرية في الجزائر1830م- 1930م وإنعكاساتها على المغرب العربي العربي، ط2، دار الحكمة للنشر، الجزائر، 2012م.
- توفيق احمد المدني، كتاب الجزائر، ط2، البليدة، الجزائر،1963م.
- توفيق احمد المدني، حياة كفاح مذكرات (1925م- 1954م)،ج3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،2009م.
- الحبيب ثامر ، هذه تونس،ط1، تح: الرشيد غدريس وتر: حمدي ساحلي، دار الغرب الاسلامي، لبنان، 1988م.
- الطاهر عبد الله ، الحركة الوطنية التونسية (1830م- 1956م) رؤية شعبية قومية، ط2، دار المعارف للطباعة والنشر، تونس، دت.
- العلوي الطيب محمد ، مظاهر المقاومة الجزائرية (1830م-1954م)،ط3،منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر،د س.
- عباس فرحات، حرب الجزائر وثورتها: ليل الاستعمار، تر:ابو بكر رحال، دار القصبة للنشر،الجزائر،2005م.
- الفاسي علال، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، ط6، مؤسسة علال الفاسي، الدار البيضاء، 2003م.

- قداش محفوظ، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، ج1، ط1، شركة دار الأمة،الجزائر،2011م.
- القادري أبو بكر، مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية من 1930م- 1940م،ج1، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 1413هـ- 1992م.
- محجوبي علي، جذور الحركة الوطنية التونسية (1904م- 1934م)، تع: عبد الحميد الشابي، ط1، المجمع التونسي للعلوم والاداب والفنون، تونس، 2000م.
- محجوبي علي، مايجب أن تعرف عن انتصاب الحماية الفرنسية بتونس، تع: عمر بن حنو وآخرون، د ط، دار سراس للنشر، تونس، 1986م.
- المرنيسي عبد الحميد، الحركة الوطنية المغربية من خلال شخصية الأستاذ علال الفاسي الى أيام الاستقلال، تق: عبد الكريم غلاب، مطبعة الرسالة، الرباط، المغرب، 1978م.
- الناصري محمد المكي، فرنسا وسياستها البربرية في المغرب الأقصى، ط1، شركة بابل، الرباط، دس.

- **المراجع بالعربية:**

- إحساين عبد الحميد، سياسة فرنسا البربرية بالمغرب (1913م- 1930م) المقاومة المغربية ضد الاستعمار جذور وتجليات،الهلال العربية، الرباط ، 1997م.
- أرسلان شكيب، لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، 2012م.
-

قائمة المصادر والمراجع

- أكادمية العلوم في الإتحاد السوفياتي، معهد الإشراف: تاريخ الأقطار العربية المعاصر، بط، ج 1، دار التقدم، موسكو، 1976م.
- البوعياشي احمد عبد السلام، حرب الريف التحريرية ومظاهر النضال، ج1، مطبعة دار الأمل، طنجة، المغرب، 1974م.
- بوعياد الحاج حسن، الحركة الوطنية والظهير البربري، ط1، دار الطباعة الحديثة، الدار البيضاء، 1979م.
- التميمي خلف عبد المالك ، الاستيطان الاجنبي في الوطن العربي دراسة تاريخية مقارنة، عالم المعرفة، الكويت، 1983م.
- تركي رابح عمامرة، الشيخ عبد الحميد بن باديس فلسفته وجهوده في التربية والتعليم (1940م- 1990م)، ط1 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، 1990م.
- الجندي أنور، العالم الاسلامي والاستعمار السياسي والاجتماعي والثقافي من أوائل اليقظة حتى أواخر الحرب العالمية الثانية، دار الكتاب اللبناني، لبنان، د س.
- جوهر محمد حسن ، تونس، دار المعاصرة، القاهرة، مصر، 1961م.
- حامد مازن مطلقاتي، المغرب العربي بين الاستعمار والاستشراق، تق: د. علي محمد جريشة، دار بني مزعنة، الجزائر، د ت.
- حميدي أبو بكر الصديق ، قضايا المغرب العربي في اهتمامات الحركة الاصلاحية الجزائرية 1920م- 1954م، دار الهدى، الجزائر، 2015م.
- الخرفي صالح، عبد العزيز الثعالبي من آثاره وأخباره في المشرق والمغرب، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1995م.

قائمة المصادر والمراجع

- خالد أحمد، أضواء من البيئة التونسية على الطاهر حداد ونضال الجبل،ط3، الدار التونسية للنشر، تونس، د ت.
- خضر ادريس، البحث في تاريخ الحديث (1830م- 1962م)،د ط، دار الغرب، دب،د س.
- خليفي عبد القادر، أحمد توفيق المدني "النضال السياسي والاسهام الفكري في الساحتين الجزائرية والتونسية (1899م- 1983م)، دار المحابر، الجزائر، دس.
- الخضر محمد حسن، تونس وجامع الزيتونة (الفقه، الشعر، الزيتونة، ابن خلدون تراجم)، تح: علي الرضا التونسي، المطبعة التعاونية، سوريا، 1971م.
- داهش محمد علي، دراسات في الحركة الوطنية والإتجاهات الوحدوية في المغرب العربي، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2004م.
- داهش محمد علي، المغرب العربي المعاصر (الإستمرارية و التغيير)، ط 1، الدار العربية للموسوعات، بيروت، لبنان، 1435هـ- 2004م.
- درموني يونس، تونس بين الحماية والاحتلال، مكتب تونس الحرة، تونس، دت.
- الدلمي محمد سليم تامر عزام ، الإدارة الفرنسية في المغرب 1939م- 1956م، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، دس.
- دفاتر الشاوية، المقاومة الوطنية في الشاوية، مطبعة دار القرويين، ط1، ص22.
- راشد أحمد إسماعيل، تاريخ أقطار المغرب العربي السياسي الحديث والمعاصر(ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب، موريتانيا)، ط1، دار النهضة العربية بيروت، لبنان، 2004م.

قائمة المصادر والمراجع

- الزمرلي الصادق، أعلام تونسيون، تقديم وتعريب: حمادي الساحلي، ط1، الغرب الاسلامي، بيروت، 1986م.
- شاطر خليفة وآخرون، تونس عبر التاريخ والحركة الوطنية ودولة الاستقلال، ج3، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، 2005م.
- الشهابي الأمير مصطفى ، محاضرات الاستعمار، ج2، معهد الدراسات العربية 1956م.
- شترة خيرالدين، إسهامات النخبة الجزائرية في الحياة السياسية والفكرية التونسية (1900م- 1939م)، دار البصائر، الجزائر، 2009م.
- شترة خير الدين، الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة (1900م- 1956م)، ج1، دار البصائر، الجزائر، 2012م.
- الشايبي محمد لطفي، الحركة الوطنية التونسية والمسألة المالية النقابية (1894م-1956م)، ج1، مركز النشرة الجامعي، تونس، 2010م.
- شاكر محمود، التاريخ الإسلامي المعاصر بلاد المغرب، ط1، المكتب الإسلامي، 1996م.
- الشرقاوي محمود، المغرب الأقصى مراكش، د ط، مكتبة الانجلو المصرية، د ت.
- الصاري احمد، شخصيات وقضايا من تاريخ الجزائر المعاصر، تق: ابو القاسم سعدالله، المطبعة العربية، غرداية،الجزائر،2004م.
- طبابي حبيب، البناء الوطني وتحديات الاستقلال، الدار التونسية للكتاب، أريانة، تونس،2011م.

قائمة المصادر والمراجع

- علية الصغير عميرة وآخرون: مواقع من الذاكرة (تونس 1881م – 2014م)، مركز النشر الجامع والمعهد العالي لتاريخ تونس،2018م.
- عبد الرشيد زروقة ، جهاد بن باديس ضد الاستعمار الفرنسي في الجزائر (1913م-1940م)، ط1، دار الشهاب، بيروت، لبنان، 1999م.
- العسلي بسام، عبدالحميد بن باديس وبناء قاعدة الثورة الجزائرية، طبعة خاصة،دار النفائس، بيروت،لبنان، 2010م.
- عياش ألبير ، المغرب والاستعمار حصيلة السيطرة الفرنسية، تر: عبد القادر الشاوي ونور الدين سعودي، ط1، دار الخطابي للطباعة والنشر، أفريل 1985م.
- غلاب عبد الكريم، قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي عصر الإمبراطورية العصر التركي في تونس والجزائر، ج3، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت لبنان، 2005م.
- غلاب عبد الكريم، تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب من نهاية حرب الريف حتى استرجاع الصحراء، ج1، ط3، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 2010م.
- الفاسي علال، محاضرات في المغرب العربي منذ الحرب العالمية الأولى، معهد الدراسات العربية العالمية، دم، 1955م.
- ابي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، مج 1، دار صابر، بيروت.
- أبو القاسم سعدالله ، الحركة الوطنية الجزائرية (1900م –1930م)، ج2 ، ط2، دار الغرب الاسلامي ، بيروت، لبنان، 1992م.
- أبوالقاسم سعدالله ، تاريخ الجزائر الثقافي (1830م- 1954م)،ج5،ط1،دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان،1998م.

قائمة المصادر والمراجع

- قنان جمال، معاهدات الجزائر مع فرنسا (1619م- 1830م)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1987م.
- القصاب أحمد، تاريخ تونس المعاصر (1881م- 1956م)،ط1، تع: حمادي الساحلي، الشكة التونسية للتوزيع، تونس، 1986م.
- القليبي عبد القادر، محيي الدين القليبي أو جهاد ثلث قرن، مجموعة وثائق انتقاها وأعدها للنشر، دار سراس للنشر، تونس، 2004م.
- القبلي محمد، تاريخ المغرب تحسين وتركيب، منشور ات المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب، ط1، الرباط، 2011م.
- محجوبي علي، العالم العربي الحديث والمعاصر تخلف فاستعمار فمقاومة، دار محمد علي الحامي،دت.
- المخلوفي محمد الصغير زاكي مبارك ، الظهير البربري من خلال مذكرات صالح لعبيدي، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1993م.
- مونيب محمد، الظهير البربري أكبر أكذوبة في تاريخ المغرب المعاصر، دار ابي الرقراق، الرباط، 2002م.
- مؤلف مجهول، اتحاد المغرب العربي الوحدة التاريخية والجغرافية، منتدى سور الازكية، الامارات، 2001م.
- بن نعمان أحمد، فرنسا و الأطروحة البربرية، شركة دار الأمة للطباعة والترجمة والنشر والتوزيع ، الجزائر، 1990م.

- الهادي محمد شريف، ما يجب ان تعرف عن تاريخ تونس من عصور ماقبل التاريخ الى غاية الاستقلال، تع: محمد الشاوش ومحمد عجينة، ط3، دار سراس للنشر، تونس، دس.
- ياغي إسماعيل أحمد ، العالم العربي في التاريخ الحديث، ط1، مكتبة العبيكة، الرياض، 1997م.
- ياسين عبد السلام، حوار مع صديق أمازيغي، ط1، سحب مطبوعات الأفق، الدار البيضاء، المغرب، 1997م.

- الأجنبية

- Bulletin Mensuel de L'office du Protectorat Français en Tunisie, février 1930, année 23, n 225, « le congrès eucharistiques de carthage ».
- Khaddache Mahfoud, Histoire du nationalisme algerien, tome 1, 1919- 1939, edit 2000.
- la croix, jeudi 8 mai 1930, année 31, n 14475, « le congrés de carthage s'est ouvert mercredi après midi ».
- l'afrique du nord illustrée, 31 mai 1930, n 474, année 25 ; « le xxx congrès eucharistiques internationale de carthage ».
- Melia Jean, Le centenaire de la conquète de l'Algèrie et des reformes indigenes(édit, craphique,paris,1930).
- Marcier Gustave, le centenaire de l'Algèrie,T1,(édit,pG,subirons Alger).

ثانيا: الرسائل الجامعية

- بعيجي سهام، الاحتفالات المئوية الفرنسية في الجزائر 1930م ، رسالة ماستر في التاريخ المعاصر، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ، جامعة محمد خيضر ، بسكرة ، 2013م - 2014م.
- بوجمعة أكرم، محمد عبد الكريم خطابي ودوره في تحرير أقطار المغرب العربي (تونس، الجزائر، المغرب الأقصى)، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه في تاريخ المغرب الحديث والمعاصر، منشورة جامعة بوبكر بلقايد، تلمسان، 2016م- 2017م.
- بوفاريك فاتح، الظهير البربري في المغرب الأقصى من خلال مجلة منار، 1930م-1934م، أطروحة لنيل شهادة الماجستير، منشورة جامعة الجزائر2، 2010م-2011م.
- خدير خديجة وشهرزاد حمدي، الظهير البربري وانعكاساته على النضال السياسي في المغرب 1930م- 1956م، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي المعاصر، جامعة احمد دراية، ادرار، 2019م- 2020م.
- بن حسين كريمة ، الحياة السياسية في قسنطينة (1930م- 1939م)، رسالة الحصول على دبلوم في الدراسات المعمقة في التاريخ الحديث،1984م.
- حواس محمد، الحركة الوطنية المغربية في المنطقة السلطانية مقاربة مضامين 1930م-1951م، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه في تاريخ المغرب الحديث والمعاصر، منشورة أبو القاسم سعد الله، جامعة الجزائر2، 2016م- 2017م.
- شايب قدادرة، الحزب الدستوري الجديد وحزب الشعب الجزائري (1934م-1954م)، دراسة مقارنة أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، الدولة في التريخ الحديث والمعاصر، جامعة منتوري، قسنطينة، 2006م- 2007م.

- طرفاوي أحمد ، عبد العزيز الثعالبي وبعض القضايا من خلال مؤلفاته (1875م – 1944م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، تخصص ضفتي البحر الابيض المتوسط، جامعة الجزائر 2، 2011م-2012م.
- علالي محمود، دراسات لكتابات الذكرى المئوية لاحتلال الجزائر، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر،2008م- 2009م.
- عقيب محمد السعيد، الحزب الدستوري التونسي القديم (1934م- 1956م)، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر 2، 2009م-2010م.
- آل عمر محمد بن علي بن محمد ، الطائفة الكاثوليكية فرقها وعقائدها وأثرها على العالم الاسلامي، مذكرة دكتوراه تحت إشراف محمود محمد مزروعة، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، السعودية، 1428هـ-2007م.
- مناصرية يوسف، الحزب الحر الدستوري التونسي (1919م- 1934م)، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، 1986م-1987م.
- مراد سعدية، الحركة الطلابية المغاربية ودورها في الكفاح الوطني (1900م-1950م الجزائر وتونس) دراسة مقارنة، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ، جامعة الوادي، الجزائر، 2013م-2014م.
- مرسي سليمة، منطقة الريف ودورها في الحركة الوطنية في المغرب الأقصى 1912م- 1953م، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تخصص تاريخ الوطن العربي، جامعة بسكرة، 2018م- 2019م.

- نايت الياس قاسم، الذكرى المئوية للاحتلال الفرنسي وأثرها على الحركة الوطنية الجزائرية ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، عمار بن خروف ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ، الجزائر ، 2002م – 2003م.
- يزير امحمد، عبدالعزيز الثعالبي وقضايا عصره (1874م-1944م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستيرفي التاريخ الحديث والمعاصر، تخصص: العلاقات بين المغرب والمشرق في العصر الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر2، بوزريعة، 2010م-2011م.

ثالثا: المجلات

- التريكتي سمير طه غليان ، "الحركة الوطنية التونسية في سنوات خلال الحربين(1918م- 1939م)"، مجلة الآداب الفراهيدي، (جامعة تكريت كلية الآداب)، العدد 13، العراق، كانون الاول 2012م.
- حليلي بن شرقي وعبد الكريم مغاوي ، "الظهير البربري"، مجلة تاريخ المغرب العربي، (جامعة بن بوعلي حسيبة)، عدد 9، شلف، 2018م.
- سليماني محمد ، "السياسة الفريسة البربرية بالمغرب مابين سنتي 1913م-1930م أصولها وأهدافها وردود فعل المغاربة إزائها"، مجلة قيس للدراسات الإنسانية والإجتماعية، (ثانوية المولى حسن)، العدد 2، المغرب، 2019/12/03م.
- شليغم غنية ، "ميلاد الظاهرة الحزبية في المغرب"، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، 27 ديسمبر 2016م.

- صهيود عبد السيد إبراهيم ، "السياسة الفرنسية اتجاه القبائل البربرية في المغرب الأقصى 1930م- 1937م"، مجلة كلية التربية الأساسية، (معهد الفنون الجملية)، المجلد23، العدد 97، العراق، 2017م.
- العربي إسماعيل، "الظهير البربري في المغرب (16 ماي 1930م) وسياسة فرنسا التقسيمية"، المجلة التاريخية الجزائرية،(جامعة محمد بوضياف)، العدد 8، المسيلة، جوان 2018م.
- العياشي عبد الله، "مراحل مقاومة الشعب المغربي للاستعمار"، مجلة الأمل، (مطبعة النجاح الجديدة)، العدد 25- 26 السنة التاسعة، المغرب، 2002م.
- العبيدي عواد إبراهيم خضر والعبيدي حسن علي خضر ، "الخلافات الايدلوجية الفكرية في الحركة الوطنية التونسية 1937م- 1944م"، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، مج 23،ع 4، (العراق)، أفريل 2016.
- القطعاني فادية عبد العزيز، "الحركة الوطنية المغربية 1912م- 1937م"، المجلة الجامعة، مج 1، العدد 17، فبراير 2014م.
- محمد السعيد عقيب، "المؤتمر الافخارستي بقرطاج ماي 1830م وتطور العمل الوطني بتونس"، مجلة البحوث والدراسات، ع22، السنة 13، 2016م.
- ميسوم بلقاسم ، "التطورات السياسية في الجزائر (1926م-1930م)"، مجلة البصائر،(المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م)، العدد 19، 30-06-2009م.

رابعا: الجرائد والدوريات

- طحطح خاليد فؤاد، "نشأة الحركة الوطنية بالمغرب"، دورية كان التاريخية،(مؤسسة كان للدراسات والترجمة والنشر)، عدد 4، مصر، يونيو 2009م.
- الهاشمي عبدالحفيظ، مطالب الأمة، في جريدة النجاح،العدد 924، 30 ذو القعدة 1438هـ
- الهاشمي عبد الحفيظ، الاحتفال المئوي الفرنسي، جريدة النجاح، العدد 962، 22 محرم- جوان 1930م.

خامسا: المواقع الإلكترونية

- الجزيرة.نت، تاريخ الولوج 22 مارس 2024م " نسخة مؤرشفة" ، مؤرشف من الأصل في 25-07-2017.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات	
البسملة	
الإهداء	
شكر وتقدير	
قائمة المختصرات	
مـقـدمـة	أ– ي
الفصل الأول: الاحتفالات بالذكرى المئوية لاحتلال فرنسا للجزائر 1930م	42-11
التحضيرات الأولية للاحتفالات.....	22-12
التحضيرات النهائية.....	39-22
أبعاد الاحتفالات.....	41-39
خلاصة الفصل.....	42
الفصل الثاني: انعكاسات الاحتفالات بالذكرى المئوية لاحتلال فرنسا للجزائر1930م على تونس	86-43
أوضاع تونس بعد الحرب العالمية الأولى.....	75-44
المؤتمر الافخرستي.....	84-75
خلاصة الفصل.....	86-85

فهرس المحتويات

الفصل الثالث: تداعيات الاحتفالات بالذكرى المئوية لاحتلال فرنسا للجزائر1930م على المغرب	121-87
أوضاع المغرب الاقصى قبل إصدار الظهير البربري 1930م.....	99-88
ماهية الظهير البربري.....	119-99
خلاصة الفصل.....	121-120
خـاتـمـة.....	127-122
الملاحق.....	138-128
قائمة المصادر والمراجع.....	152-139
فهرس المحتويات.....	155-153
ملخص الدراسة.....	157-156

ملخص الدراسة

ملخص:

بعد دراستي لموضوع ذكرى الاحتفالات المئوية الفرنسية لاحتلال الجزائر وانعكاساتها على تونس والمغرب، ظهر لي مدى حقد الفرنسيون للعروبة والاسلام والمسلمين، حيث حملت هذه الاحتفالات ذكرى أليمة في نفوس الجزائريين، ذكرى مرور قرن على احتلال المستعمرين لأرض الجزائر، حيث خصصت لها فرنسا إمكانات ضخمة ودعت لها العالم، حيث ارادت فرنسا أن تظهر عظمة سيطرتها على الجزائر.

وكان لهذه الاحتفالات انعكاسات على كل من تونس والمغرب، ففي تونس يعتبر المؤتمر الافخارستي انعكاسا لهذه الاحتفالات، وهو تظاهرة دينية مسيحية قامت بها فرنسا من أجل تنصير شمال إفريقيا، وذلك من خلال طمس كل المقومات من هوية واسلام ولغة للشعب التونسي. لقد شكل المؤتمر دافعا مهما لتوحيد الصف التونسي بمختلف مكوناته وشرائحه الاجتماعية. أما بالنسبة لتداعيات التي خلفتها الاحتفالات بالذكرى المأوية لاحتلال الجزائر بالمغرب الاقصى فقد ظهرت نتائجها في الخطورة التي شكلتها السياسة البربرية لفرنسا بالمغرب الأقصى من خلال الأظهرة البربرية ومن أبرزها ظهير **16 ماي 1930م**، فبإصدارها له ظهرت نواياها الحقيقية اتجاه المجتمع المغربي الذي استهدفت نسيجه بمحاولة تفكيكه وإضعافه، ولقد حاول الظهير البربري أن يكون حدا فاصلا بين البربر والعرب من جهة، وبين الشرع والعرف من جهة أخرى.

الكلمات المفتاحية: الاحتفالات المئوية، انعكاسات، تونس، المغرب.

ملخص الدراسة

Summary :

After studying the topic of the anniversary of the French centenary celebrations of the occupation of Algeria and its repercussions on Tunisia and Morocco, it became clear to me the extent of the French's hatred for Arabism, Islam and Muslims, as these celebrations carried a painful memory in the souls of the Algerians, the anniversary of the century since the colonialists occupied the land of Algeria, as France allocated huge capabilities to it and called for it. The world, where France wanted to show the greatness of its control over Algeria.

These celebrations had repercussions on both Tunisia and Morocco. In Tunisia, the Eucharistic Conference is considered a reflection of these celebrations, and it is a Christian religious demonstration carried out by France in order to Christianize North Africa, by obliterating all elements of identity, Islam, and language for the Tunisian people. The conference represented an important impetus for unifying the Tunisian ranks, with its various components and social strata. As for the repercussions left by the celebrations of the centenary of the occupation of Algeria in Al-Aqsa Morocco, its results were evident in the danger posed by the barbaric policy of France in Al-Aqsa Morocco through the barbaric decrees, most notably the Royal Decree of May 16, 1930 AD. By issuing it, its true intentions towards Moroccan society, whose fabric it targeted by trying to dismantle and weaken it, were evident. The Berber dahir tried to be a dividing line between Berbers and Arabs on the one hand, and between law and custom on the other hand.

Key words: centenary celebrations, reflections, Tunisia, Morocco.